جامعة قطر
كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

تداول المعلومات بين التبيُّن والتثبُّتِ في القرآن الكريم

أعدّت بواسطة
علي سالم علي البادي

قدمت هذه الرسالة كأحد متطلبات
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
للحصول على درجة الماجستير في
التفسير وعلوم القرآن

يونيو ٢٠١٧م-١٤٣٨هـ
© ٢٠١٧م. علي سالم علي البادي. جميع الحقوق محفوظة

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالب/ علي سالم علي البادي بتاريخ: ٢٠١٧/٠٢/٢٦م، وَوُفِقَ عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه . وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزء من امتحان الطالب.

الاسم: الأستاذ الدكتور/ محمد عبد اللطيف رجب عبد العاطي / مشرفًا ومقررًا.

التوقيع:

الاسم: الأستاذ الدكتور/ يوسف محمود الصديقي / مناقشًا داخليًا.

التوقيع:

الاسم: الأستاذ الدكتور/ عبد السلام مقبل المجيدي / مناقشًا خارجيًا.

التوقيع:

تمّت الموافقة:

أ.د يوسف الصديقي، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

تسعى هذه الدراسة إلى استقراء القواعد والأصول القرآنية التي ينبغي أن تحكم عملية تداول المعلومات، بهدف لفت الانتباه إلى الآثار السلبية الناتجة عن عدم التبين والتثبت في هذا التداول، وبهدف تقديم رؤية قرآنية تتضمن مرتكزات التبين والتثبت حتى تتم معالجة الأخطاء التي تقع في المجتمع وفي مؤسساته أثناء التبين والتثبت من أمر ما.

والسؤال المركزي الذي تجيب عنه الدراسة هو: ما الإطار الأخلاقي الذي يحكم عملية جمع المعلومات وتداولها، وما مرتكزات التبين والتثبت في القرآن الكريم؟

وقد اشتملت الدراسة على مقدمة بينت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث فيه، وخطته، ثم بينت في الفصل الأول مفهوم تداول المعلومات وأهميته، والفرق بين التبين والتثبت، مع بيان أهميتهما، ولأن التجسس والتحسس من وسائل التبين والتثبت حرصت على دراستهما في الفصل الثاني، فبينت مفهوم التجسس والتحسس، وحكمهما، وضوابطهما، وأهدافهما في القرآن الكريم، ثم بينت في الفصل الثالث مرتكزات التبين والتثبت في تداول المعلومات وآثارهما الفردية والمجتمعية.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها أن أهم ما يرتكز عليه التبيُّن والتثبت يتمثل في تجنب اقتفاء ما لا علم به، وترك التخمين وسوء الظن، وترك الخوض في الباطل وفضول الكلام، واعتماد المؤسسية في التبين والتثبت، وقد بينت أن اعتماد المؤسسية في التبين والتثبت يستلزم أن يكون المتبين والمتثبت من منتسبي المؤسسات والأجهزة المصرحة من قبل ولي أمر البلاد، وعدم الشروع في التبين والتثبت الأمني إلا بأوامر وتخويل من المسؤولين، وعدم تجاوز المعايير الإنسانية التي أقرها الإسلام عند التبين والتثبت، والسرية وعدم نشر المعلومات، وألا تتعدى توثيقها الأمني، ولا يطلع عليها إلا من كان مكلفاً وله صلاحية تتيح له ذلك، مع ذكر النتيجة بصدق وأمانة دون زيادة أو نقصان، وتحديد نسبة التثبت وهل هي في الدرجة القصوى أم أقل من ذلك، وعدم التصرف في أي وثائق، أو أموال، أو أي مكاسب حصل عليه من تم تكليفه بالمهمة إلا بإيعاز من أصحاب القرار.

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير ..... و

إهداء ..... ز

المقدمة ..... ح

الفصل الأول: تداول المعلومات بين التبين والتثبت: المفهوم والأهمية ١

المبحث الأول: مفهوم تداول المعلومات وأهميته ٢

المطلب الأول: مفهوم تداول المعلومات: ٢

المطلب الثاني: أهمية تداول المعلومات: ٨

المبحث الثاني: مفهوم التبين والتثبت وأهميتهما ٢٤

المطلب الأول: مفهوم التبين والتثبت: ٢٤

المطلب الثاني: أهمية التبين والتثبت: ٥١

الفصل الثاني: التجسس والتحسس وضوابطهما في القرآن الكريم ٦٠

المبحث الأول: مفهوم التجسس والتحسس ٦١

المطلب الأول: تعريف التجسس لغة واصطلاحاً ٦١

المطلب الثاني: التحسس والفرق بينه وبين التجسس: ٦٥

المبحث الثاني: حكم التجسس والتحسس وضوابطهما وأهدافهما ٧١

المطلب الأول: حكم التجسس والتحسس: ٧١

المطلب الثاني: ضوابط التجسس والتحسس وأهدافهما ٨٧

الفصل الثالث: مرتكزات التبين والتثبت في تداول المعلومات وآثارهما ٩٧

المبحث الأول: مرتكزات التبين والتثبت في تداول المعلومات ٩٨

أولاً: تجنب اقتفاء ما لا علم به، والتخمين وسوء الظن ٩٨

ثانياً: ترك الخوض في الباطل وفضول الكلام ١٠٥

ثالثاً: اعتماد المؤسسية في التبين والتثبت ١٠٨

المبحث الثاني: آثار التبين والتثبت في تداول المعلومات ١١٦

المطلب الأول: الآثار الفردية ١١٦
المطلب الثاني: الآثار المجتمعية ١٢٢
الخاتمة..... ١٣٦
الفهارس ١٣٨
فهرس الآيات ١٣٨
فهرس الأحاديث ١٤٦
قائمة المراجع والمصادر ١٤٩

أتقدم بعد شكر الله تعالى وحمده، بعظيم الشكر والامتنان والتقدير إلى فضيلة الشيخ أ.د/ **محمد عبد اللطيف رجب عبد العاطي** ـ حفظه الله تعالى ـ أستاذ تفسير القرآن وعلومه، على تكرمه وقبوله الإشراف على هذه الرسالة، وعلى ما بذله من نصح وإرشاد وتوجيه وتصويب، فجزاه الله خير الجزاء، ووفقه لما يحبه ويرضاه.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأساتذة الكرام في لجنة المناقشة أستاذي ومعلمي وشيخي الكبير فضيلة الأستاذ الدكتور/ **يوسف الصديقي** عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، والذي تتلمذت على يديه في مرحلة البكالوريوس، وشاء الله تعالى أن تكون له بصمته المباركة علي حتى في مرحلة الماجستير، كما أتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور/ **عبد السلام مقبل المجيدي**، لتفضلهما بقبول مناقشة رسالتي.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى **كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر**، ممثلة في هيئتيها التدريسية والإدارية على ما قدمته لي خلال ست سنوات قضيتها بين أروقتها مقسمة بين مرحلة البكالوريوس لمدة ثلاث سنوات والماجستير في مدة مماثلة، وأسأل الله عز وجل إن يبقيها منارة للعلوم، وأن يوفق القائمين عليها إلى كل خير وصلاح.

ولا أنسى فضل المسؤولين في عملي بعد الله تعالى، لتسهيل الدرب لي، والموافقة على إكمال دراستي العليا لخدمة وطني قطر وأهله، فجزاهم الله خيراً.

إهداء

إلى من لا أوفيها حقها (جدتي) أم والدتي «رحمها الله تعالى وأسكنها فسيح جناته».

إلى والدي ووالدتي، حفظهما الله تعالى ورزقني برهما.

إلى أسرتي.

إلى العين الساهرة على أمن الوطن رجال الأمن البواسل.

أهدي هذا العمل

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وتركها على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم واقتفى أثرهم وسار على منهجهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فإن لتداول المعلومات طرقاً كثيرة وأساليب مختلفة منها، الواضح الجلي، ومنها الباطن الخفي، وقد أدت الثورة التكنولوجية إلى سهولة انتشار المعلومة، حتى وصف عصرنا بعصر «الانفجار المعلوماتي»، ويمكن أن نتصور خطورة المعلومة وأثرها في حياة الأفراد والدول حين نعلم أن دولة العراق قد تم حصارها، ثم غزوها واحتلالها بناء على معلومة تفيد امتلاكها لأسلحة دمار شامل، وقد تم الترويج لهذه المعلومة من قبل دول ومؤسسات، ثم ثبت للجميع ـ بعد وقوع الكارثة التي ما زلنا نعيش تجلياتها حتى الآن ـ أن تلك المعلومة لم تكن صحيحة، وأن الأمر كان مخططا له لتحقيق أهداف ومآرب لا علاقة لها بالمعلومة التي تم تداولها.

وفي الجانب الاقتصادي تؤكد كثير من الشواهد أن الهزات الاقتصادية التي تتعرض لها الدول تنشأ من عوامل متعددة منها العامل المعلوماتي، ولهذا أصبحت القدرة على الوصول إلى المعلومات ومعالجتها أحد مكونات صناعة النمو الاقتصادي والحفاظ عليه.

لقد غدت أجهزة الحصول على المعلومات وتحليلها ووضعها بين يدي صناع القرار ومتخذيه عصباً لا يمكن الاستغناء عنه في كل دولة، وبعض هذه الأجهزة تعمل ـ على حد علمي ـ في كثير من الدول دون مظلة من القيم والقواعد الأخلاقية؛ فتصنع المعلومة لهدف سياسي أو اقتصادي أو لغرض أيديولوجي، وبعضها يهمل مبدأ التبين من صدق المعلومات التي تصلها، وإن تبينت فإنها قد تهمل في التثبت الذي ينبغي أن يترتب على ذلك التبين، وهما

الأمران اللذان حرص عليهما الرسول ﷺ في أمر حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه[1]، وبعض الأجهزة والأفراد العاملين فيها يمكن أن يأخذوا بمبدأ التبين والتثبت المغرض كما فعل أهل امرأة العزيز حين سلكوا طريق التبين والتثبت، ثم لما بدت لهم براءة يوسف عليه السلام قرروا سجنه.

إننا لا ننكر الفوائد الهائلة للسرعة الحاصلة في تداول المعلومات في برامج التواصل الاجتماعي (Social Media) مثل: الواتس أب (WhatsApp)، وتوتير (Twitter)، وفيس بوك (facebook)، وسناب شات (Snapchat)، وغيرها من البرامج التي ظهرت في عصرنا الحاضر، لكننا نؤكد على وجود مخاطر تترتب على غياب التبين ثم التثبت في تداول المعلومات عبر هذه الوسائل وغيرها، ونؤكد على أهمية اعتماد جملة من القيم والقواعد المجتمعية التي تفاقم من الآثار النافعة لتداول المعلومات، وتقلص من الآثار الضارة لتلك العملية.

لقد أتاحت للباحث طبيعة تخصصه أن يقف على جملة من الآيات المتفرقة في القرآن الكريم، وأن يتلمس دروساً بليغة في ثناياها يمكن اغتنامها في بناء نسق من القيم والقواعد التي تنظم تداول المعلومات على المستوى الرسمي وغير الرسمي، بدءاً من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [سورة النساء:٩٤]، ومرورا بآيات متعددة تتحدث عن قوم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [سورة المائدة:٤١]، وعن قوم لو كانوا فيكم ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة:٤٧]، ثم آيات في سورة يوسف، ثم آيات حديث الإفك ومنها ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور:١٥] والآيات في قصة الهدهد وسليمان عليه السلام مع بلقيس، والآيات التي يطالب فيها هارون أخاه موسى عليهما السلام بأن يتثبت من أمره مع قومه قبل أن يأخذ بلحيته ورأسه، وغير

(١) قصة حاطب رضي الله عنه سيأتي ذكرها في ص٣٦-٣٨.

ذلك كثير في القرآن الكريم، وفي تنزيلاته الواقعية التي تجلت في عهد الرسول ﷺ، ثم في خير القرون.

وعلى هذا فقد استخار الباحث من هو أحن عليه من الأم على ولدها سبحانه، واستشار أهل العلم والفضل، فاستقر على أن يكون عنوان بحثه لاستكمال متطلبات الماجستير هو **«تداول المعلومات بين التبين والتثبت في القرآن الكريم»**.

وسبب اختيار الباحث لمصطلح "تداول المعلومات" بدلاً من تداول الأخبار أو الأنباء وغيرها من المصطلحات **يرجع إلى ما يأتي:**

١. أن مصطلح "المعلومات" جامع لمصطلح الأخبار والأنباء.
٢. أنه ينطوي على الصحيح وغير الصحيح مثل الشائعات.
٣. أنه المصطلح الأكثر استخداما على المستوى الرسمي وغير الرسمي، فنحن نسمع عن أجهزة المعلومات، وعن الأمن المعلوماتي، وعن هيئات الاستعلام وغيرها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة فيما يأتي:

١. إبراز الرؤية القرآنية في استقراء القواعد والأصول المنثورة في الآيات القرآنية، إذ هي التي ينبغي أن تحكم عملية تداول المعلومات.
٢. تحليل التعبيرات القرآنية التي يمكن اغتنام بعض دلالاتها في بناء نسق من القيم والأخلاقيات لعملية تداول المعلومات.
٣. حاجة المجتمع إلى بيان حدود الدور الرسمي وغير الرسمي في التعامل مع المعلومات عند طرحها، ثم تلقيها، ثم التبين من صدقها، وصولاً إلى مرحلة التثبت، ثم مرحلة تحليل هذه المعلومات، ثم التعامل معها في دوائر صناعة القرار، وانتهاء بوضع ذلك كله بين يدي متخذي القرار حتى لا يقعوا تحت طائلة الجهالة التي أشار الله تعالى إليها في قوله: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ**

﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [سورة الحجرات:٦].

أسباب اختيار الدراسة:

أولاً: الأسباب الذاتية:

١- استكمال متطلب الحصول على درجة الماجستير في برنامج التفسير وعلوم القرآن من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر.

٢- ميل الباحث لدراسة جوانب قضية تداول المعلومات في القرآن الكريم، وتتبع تحليلاتها في التراث التفسيري.

ثانياً: الأسباب الموضوعية:

١- السعي لدراسة المرتكزات الفكرية والسلوكية التي أقرها القرآن الكريم في تداول المعلومات.

٢- تقديم إطار أخلاقي قرآني للمؤسسات والأفراد الذين يعملون في المجال الذي يتعلق بالبحث والتحري عن المعلومة وتوظيفها في مجال عملهم.

٣- بيان مدى واقعية التوجيهات القرآنية في مجال تداول المعلومات من خلال تتبع شواهد تنزيلها على الواقع في تاريخنا الإسلامي.

أسئلة الدراسة:

١- ما الإطار الأخلاقي الذي يحكم عملية اقتفاء المعلومات التي قد يلزم بعض المؤسسات اللجوء إليها في بعض الأحيان؟

٢- ما المرتكزات الفكرية والسلوكية التي أقرها القرآن الكريم في تداول المعلومات؟

٣- ما الفرق بين التبين والتثبت باعتبار ورود هذين المصطلحين في قراءتين قرآنيتين متواترتين؟

٤- ما الفرق بين التجسس والتحسس وضوابطهما باعتبارهما من وسائل التبين والتثبت؟

٥- ما الآثار المترتبة على التبين والتثبت في تداول المعلومات؟

أهداف الدراسة:

تكمن أهداف الدراسة فيما يأتي:

١- لفت الانتباه إلى الآثار السلبية الناجمة عن تداول المعلومات دون تبين أو تثبت.

٢- تقديم رؤية قرآنية تتضمن المرتكزات الأخلاقية والسلوكية والمؤسسية في تداول المعلومات.

٣- علاج الأخطاء التي تقع في المجتمع وفي مؤسساته نتيجة عدم التبين والتثبت في تداول المعلومات.

الدراسات السابقة:

بمجرد الموافقة المبدئية على هذه الدراسة من قبل لجنة الدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة قطر بدأ الباحث بالتقصي عن الدراسات السابقة في المكتبات وعبر شبكة المعلومات، ثم قام بالاتصال أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض في المملكة العربية السعودية أكثر من مرة للاطلاع على الدراسات السابقة التي يمكن أن تتعلق بهذه الدراسة، فلم يجد شيئاً يتعلق تعلقاً مباشراً بهذه الدراسة، فعدت للبحث في مكتبتهم عن طريق موقعهم الرسمي[(١)] وتأكد للباحث أنه لا توجد دراسة كاملة وشاملة في هذا الموضوع، وبعدها توجه لمكتبات بعض الجامعات عن طريق مواقعهم الرسمية، فلم يقف على دراسات تتعلق **بتداول المعلومات بين التبين والتثبت في القرآن الكريم** سوى ما يأتي:

١- **العليمي، أحمد محمد: التثبت والتبين في المنهج الإسلامي**، بيروت، دار ابن حزم، ٢٠٠٠م، ط١. يقع الكتاب في ١١٧ صفحة، وتشمل على خمسة مباحث، المبحث الأول: لمعنى التثبت والتبين، والمبحث الثاني: أدلة التثبت من القرآن العظيم، والمبحث الثالث:

---

(١) libry.**nauss**.edu.sa.

التثبت من السنة النبوية الشريفة، والمبحث الرابع: منهج الصحابة في التثبت والتبين، والمبحث الخامس: للتثبت أحكام كثيرة، وذيل البحث بالخاتمة والمراجع والمصادر والفهرس.

ودراسة الباحث تختلف عن هذه الدراسة من حيث إنها دراسة قرآنية، ثم من حيث تقسيماتها وتفاصيلها، حيث توجد فيها إضافات متعددة، فهي ترتبط بالمجتمعين المدني والأمني، كما تختلف عنها من حيث عقد فصلين أحدهما في أمر يعد من طرق التبين والتثبت وهو التجسس والتحسس وضوابطهما، والثاني في مرتكزات وآثار التبين والتثبت في تداول المعلومات.

٢- **أحمد، محمد محمد: التثبت في القرآن الكريم**، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، أطروحة لاستكمال متطلب الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا، ٢٠١١م، وتقع في ١٧٨ صفحة، وفيها خمسة فصول: الفصل الأول: مفهوم التثبت وأهميته، أما الفصل الثاني: منهجية القرآن الكريم في التثبت، أما الفصل الثالث: أنواع التثبت ووسائله وآثاره، وجاء الفصل الرابع: التثبت في القصة القرآنية، والفصل الخامس: أسباب عدم التثبت وعلاجها، ومذيله بالخاتمة والنتائج والتوصيات والفهارس.

ودراسة الباحث تختلف عن هذه الدراسة من حيث تمييزها بين التبين والتثبت، ومن حيث بيانها لحدود كل منهما، ثم من حيث اشتمالها على فصل يعنى بدراسة أمر من طرق التبين والتثبت وهو التجسس والتحسس وضوابطهما، وفصل آخر في مرتكزات آثار التبين والتثبت في تداول المعلومات.

٣- **وردات، قسيم محمد عليان: منهج القرآن في التثبت –دراسة موضوعية–**، إربد، جامعة اليرموك، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، ٢٠١٢م، وتقع في ٣٤٥ صفحة، وفيها أربع فصول: الفصل الأول: مفهوم التثبت ومشروعيته، أما الفصل الثاني: ميادين التثبت في القرآن الكريم، أما الفصل الثالث: وسائل التثبت، وعوامله وصوره في ضوء القرآن الكريم، وجاء الفصل الرابع: أهمية التثبت، وآثاره في ضوء القرآن الكريم، وأخيراً الخاتمة وفيها: أهم النتائج، وفهرس المصادر والمراجع والأحاديث، وملخص باللغة الإنجليزية.

وهذه الدراسة لا تختلف عن سابقتها في العنوان إلا أنها مختلفة في المحتويات والأسلوب، وقد قال صاحبها: وقفت على رسالة بعنوان «التثبت في القرآن الكريم»، من إعداد محمد محمد أحمد حسين أحمد، وقد نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٢٠١١/٠١/٢٤م، في جامعة النجاح... ومن المهم هنا معرفة ما يلي:

١- قد تم قبول موضوعي بتاريخ ٢٠١١/٠١/١٩م، -أي قبل مناقشة تلك الرسالة-، وقد كنت أسعى لقبول موضوعي خلال عام ونصف قبل ذلك التاريخ.

٢- لم أعلم بوجود تلك الرسالة إلا في الشهر الأول من عام ٢٠١٢م، وكنت قد أنهيت كتابة رسالتي في ذلك الوقت.

٣- إن الناظر إلى هذه الدراسة، ودراستي سيلاحظ أن هناك اختلافاً في عناوين الموضوعات وطرحها، إذ يوجد عدة موضوعات غفلت عنها تلك الدراسة، وقد بينتها في دراستي...، مما أتاح لي الكتابة في هذا الموضوع.

وأما ما تشابه في الدراستين في العنوان فإنه مختلف في المضمون والأسلوب[١].

ودراسة الباحث تختلف عن هذه الدراسة من حيث إبراز ضوابط التبين والتثبت وكذلك التجسس والتحسس، ومن حيث بيانها لحدود كل منهما، ثم من حيث اشتمالها على فصل كامل يتعلق بدراسة المرتكزات القرآنية في تداول المعلومات، وهي المرتكز الفكري والسلوكي والمؤسسي، وكذلك آثار التبين والتثبت في تداول المعلومات؛ سواء كانت آثارً فردية أم مجتمعية.

(١) وردات، قسيم محمد عليان: **منهج القرآن في التثبت**، إربد، جامعة اليرموك، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، د.ط، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٥.

منهج الباحث:

سوف ينتهج الباحث في هذه الدراسة:

١- المنهج الاستقرائي، حيث يقوم باستقراء كل ما يتعلق بتداول المعلومات في القرآن الكريم صراحة أو ضمناً.

٢- المنهج التحليلي، حيث يقوم بتحليل التعبيرات القرآنية التي يمكن اغتنام بعض دلالاتها في بناء نسق من القيم والأخلاقيات لعملية تداول المعلومات.

٣- المنهج الاستنباطي، حيث يستنبط المرتكزات الفكرية والسلوكية والمؤسسية لتداول المعلومات في القرآن الكريم، بالإضافة إلى استنباط الآثار الفردية والمجتمعية للتبين والتثبت في تداول المعلومات.

خطة الدراسة:

تحقيقاً لما سبق ذكره فإن هذه الدراسة تتكون من مقدمة، وثلاثة فصول، ثم خاتمة.

- **المقدمة:**

وتشتمل على ما يأتي:

- أهمية الدراسة.
- أسباب اختيار الدراسة.
- أسئلة الدراسة.
- أهداف الدراسة.
- الدراسات السابقة.
- منهج البحث في الدراسة.
- خطة الدراسة.

- **الفصل الأول: تداول المعلومات بين التبين والتثبت: المفهوم والأهمية.**

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: مفهوم تداول المعلومات وأهميته.**

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: مفهوم تداول المعلومات.
- المطلب الثاني: أهمية تداول المعلومات.

- **المبحث الثاني: مفهوم التبين والتثبت وأهميتهما.**

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: مفهوم التبين والتثبت.
- المطلب الثاني: أهمية التبين والتثبت.

❖ **الفصل الثاني: مفهوم التجسس والتحسس وضوابطهما في القرآن الكريم.**

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: مفهوم التجسس والتحسس.**

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: تعريف التجسس لغة واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: التحسس والفرق بينه وبين التجسس.

- **المبحث الثاني: حكم التجسس والتحسس وضوابطهما وأهدافهما.**

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: حكم التجسس والتحسس.
- المطلب الثاني: ضوابط التجسس والتحسس وأهدافهما.

❖ **الفصل الثالث: مرتكزات التبين والتثبت في تداول المعلومات وآثارهما.**

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: مرتكزات التبين والتثبت في تداول المعلومات.**

ويشتمل على أمور منها:

- أولاً: تجنب اقتفاء ما لا علم به، والنأي عن التخمين وسوء الظن.
- ثانياً: ترك الخوض في الباطل وفضول الكلام.

- ثالثاً: اعتماد المؤسسية في التبين والتثبت.

- **المبحث الثاني: آثار التبين والتثبت في تداول المعلومات.**

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: الآثار الفردية.
- المطلب الثاني: الآثار المجتمعية.

❖ **الخاتمة:**

- النتائج.
- التوصيات.

الفصل الأول

تداول المعلومات بين التبين والتثبت: المفهوم والأهمية

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: مفهوم تداول المعلومات وأهميته.**

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: مفهوم تداول المعلومات.
- المطلب الثاني: أهمية تداول المعلومات.

- **المبحث الثاني: مفهوم التبين والتثبت في القرآن الكريم وأهميتهما.**

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: مفهوم التبين والتثبت.
- المطلب الثاني: أهمية التبين والتثبت.

المبحث الأول

مفهوم تداول المعلومات وأهميته

المطلب الأول: مفهوم تداول المعلومات:

التداول لغةً:

جاء في لسان العرب: «صار الفيء دُولة بينهم يَتَداوَلونه مَرَّة لهذا ومرة لهذا، والجمع دُولات ودُوَلٌ. وقال أَبو عبيدة: الدُّولة، بالضم، اسم للشيء الذي يُتَداوَل به بعينه، والدَّولة، بالفتح، الفعل. وفي حديث أَشراط الساعة: إِذا كان المَغْنَم دُوَلاً»[(١)]، جمع دُولة، بالضم، وهو ما يُتداوَل من المال فيكون لقوم دون قوم. وقال الزجاج: الدُّولة اسم الشيء الذي يُتداول، والدَّوْلةُ الفعل والانتقال من حال إِلى حال[(٢)].

ويقول ابن فارس: «الدال والواو واللام أصلان: أحدُهما يدلُّ على تحوُّل شيءٍ من مكان إلى مكان، والآخر يدلُّ على ضَعْفٍ واستِرخاء. أمَّا الأوَّل فقال أهل اللغة: انْدَالَ القومُ، إذا تحوَّلوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب: تداوَلَ القومُ الشّيءَ بينَهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدَّولة والدُّولة لغتان. ويقال: بل الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب، وإِنَّما سُمِّيا بذلك من قياس الباب؛ لأنّه أمرٌ يتداوَلُونه، فيتحوَّل من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا. وأمَّا الأصل الآخَر فالدَّوِيلُ من النَّبْت: ما يَبِس لعامِهِ. قال أبو زيد: دالا لثَّوبُ يَدوُل، إذا بَلِيَ. وقد جعل (وُدُّهُ) يَدُول، أي يبلى»[(٣)].

---

(١) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حول المسخ والخسف، حديث رقم: (٢٢١٠)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، د.ت، ص ٦٠٦. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، مادة: (د و ل).

(٣) الرازي، احمد بن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، مادة: (د و ل).

وقولهم: (دواليك) كأنه مأخوذ من المداولة وهي المناوبة، فـ (دواليك) تثنية (دوال)، كما أن (حواليك) تثنية (حوال)، و (دوال) وقع موقع (مداولة)، والمراد الكثرة، لا نفس التثنية، قال الشاعر:

إذا شق برد شق بالبرد مثله * دواليك حتى ليس للبرد لابس**

فـ « (دواليك) في البيت في موضع الحال، ومعناه: إذا شق برد شق بالبرد مثله دواليك، أي: متداولين. وذلك أن العرب كانت إذا أرادت عقد تأكيد المودة بين الرجل والمرأة لبس كل واحد منهما برد الآخر، ثم تداولا على تخريقه هذا مرة، وهذه مرة، فهو يصف تداولها على شق البرد حتى لا يبقى فيه ملبس»[(١)].

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:١٤٠].

قال القفال: المداولة: «نقل الشيء من واحد إلى آخر، يقال: تداولته الأيدي إذا تناقلته ومنه قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [سورة الحشر:٧] أي تتداولونها ولا تجعلون للفقراء منها نصيباً، ويقال: الدنيا دول، أي تنتقل من قوم إلى آخرين، ثم عن غيرهم، ويقال: دال له الدهر بكذا إذا انتقل اليه، والمعنى أن أيام الدنيا هي دول بين الناس لا يدوم مسارها ولا مضارها، فيوم السرور له والغم لعدوه، ويوم آخر بالعكس من ذلك، ولا يبقى شيء من أحوالها ولا يستقر أثر من آثارها، فقوله ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ إشارة إلى جميع أيام الوقاع العجيبة، فبين أنها دول تكون على الرجل حينا وله حينا والحرب سجال»[(٢)].

وقد قيل في مدح خلافة بني العباس:

---

(١) انظر: بن يعيش، موفق الدين أبي البقاء: **شرح المفصل للزمخشري**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج١، ص٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) انظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي: **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ/١٩٩م، ج٩، ص٣٧٢.

تداولوها يا بني العباس تداول الأكف بالأمراس[1]

قال الراغب: «دول: الدَّوْلَةُ وَالدُّولَةُ واحدةٌ، وقيل الدولة في المال والدولة في الحرب والجاه. وقيل الدولة اسم الشيء الذي يتداول بعينه، والدولة المصدر»[2].

ويكثر استخدم كلمة تداول في العصر الحديث في المؤسسات الحكومية، وبخاصة المؤسسات الاقتصادية كتداول الأوراق المالية. «ويأتي تشبيه حركة تداول الأخبار بحركة تداول العملة من الصور المشتركة في عملية تداول كل منها بين كافة أفراد المجتمع»[3].

وخلاصة التعريف اللغوي لكلمة تداول انها تعني انتقال الشيء من جهة إلى جهة أخرى، بحيث يكون متبادلاً ومشاعاً سواء كان ملموسا، أو مسموعا، أو مشاهدًا، أو وصفاً، مباشراً أو بواسطة.

- **ملموساً** كالأوراق، أو الأقراص الإلكترونية، وما نحوها.
- **مسموعاً** عن طريق السمع المباشر.
- **مشاهداً** يكون بالبصر.
- **وصفاً** كأمير ووزير ونحوه.
- **مباشراً** في حال التواجد واللقاء الحي.
- **بواسطة** أما أن يكون عبر الأفراد أو التقنيات الحديثة من بريد إلكتروني (إيميل) ونحوه.

---

(١) المرزباني، محمد بن عمران: **معجم الشعراء**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٤٧٩.

(٢) الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، بيروت، دار المعرفة، ط٧، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص١٨٠.

(٣) الزيودي، ريما محمود: **نقل الأخبار وتداولها في المجتمع الإسلامي أيام الدولة الأموية**، الأردن، دار يافا، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص١١.

المعلومات لغةً:

المعلومات أحد المشتقات من مصدر (علم)، يقال: (استعلمه) الخبر (فأعلمه) إياه. و(علمه) الشيء (تعليما فتعلم) وليس التشديد هنا للتكثير بل للتعدية. و(تعالمه) الجميع أي علموه. والأيام (المعلومات) عشر من ذي الحجة[١].

ومن صفات الله عز وجل العَلِيم والعالِمُ والعَلاَّمُ؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة يس:٨١]، وقال: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [سورة الجمعة:٨]، وقال: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [سورة سبأ:٤٨]، فهو اللهُ العالمُ بما كان وما يكونُ قَبْلَ كَوْنِه، وبِمَا يكونُ ولَمَّا يكُنْ بعْدُ قَبْل أن يكون، لم يَزَل عالِماً ولا يَزالُ عالماً بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء وعَلَّمه العِلْم وأَعْلَمه إياه فتعلَّمه، وفرق سيبويه بينهما فقال: عَلِمْتُ كأَذِنْت، وأَعْلَمْت كآذَنْت، وعَلَّمْته الشيءَ فتَعلَّم[٢].

وقد عرف السيوطي العلم بأنه: «إدْرَاك الشَّيْء بحقيقته، وَيُطلق على حُصُول صور المعلومات فِي النَّفس، وَقيل: حكم النَّفس على الشَّيْء بِوُجُود شَيْء لَهُ هُوَ مَوْجُود، أَو نفي شَيْء عَنهُ هُوَ غير مَوْجُود لَهُ»[٣].

أما المعلومات فهي «أخبار وتحقيقات أو كل ما يؤدي إلى كشف الحقائق أو إيضاح الأمور»[٤].

ويرى الباحث أن التعريف السابق ينطبق فقط على الأخبار والمعلومات الصحيحة التي تستهدف كشف الحقائق وتوضيح الأمور، وهذا ليس مقبولاً على إطلاقه في الإسلام؛ لأننا يمكن أن نمتنع عن تداول الحقائق في أحايين كثيرة ويكون الهدف عدم كشف الحقيقة

---

(١) انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر: **مختار الصحاح**، مادة: (ع ل م).

(٢) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، مادة: (ع ل م).

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص١٩٨.

(٤) مسعود، جبران: **الرائد**، مادة: (ع ل م).

وتوضيح الأمر، ومن ذلك كل ما يتعلق بستر الأعراض، أو إخفاء المعلومات التي يؤدي تداولها إلى إلحاق الضرر بالمجتمع.

ولاشتقاق مصدر (علم) صلة وثيقة بالعلم والإعلام والمعرفة والإدراك والإحاطة والتميز والشهرة والخبر وغيرها من الكلمات[1].

وخلاصة التعريف اللغوي لكلمة معلومات أنها بيانات وأخبار وتعاميم يتم تداولها بين الناس، ويمكن أن تأتي من الأعلى للأدنى والعكس:

- **بيانات** كسيرة علم، وتفاصيل مركبة ونحوه.
- **وأخبار** كأنباء المذياع، ونقل الحديث ونحوه.
- **وتعاميم** كأوامر الأمير لشعبه، وقوانين الوزير لوزارته ونحوه.
- **تأتي من الأعلى إلى الأدنى** كقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[سورة البقرة:٣١-٣٢] قيل: علم آدم أسماء الملائكة وقيل أسماء ذريته وقيل علمه اللغات كلها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ يعني تلك الأشخاص، وإنما قال عرضهم ولم يقل عرضها؛ لأن المسميات إذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء عليهم كما يعبر عن الذكور والإناث بلفظ الذكور ﴿عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ يعني تعجيزا لهم ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني تلك الأشخاص، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: إني لم أخلق خلقا إلّا كنتم أفضل منه وأعلم ﴿قَالُوا۟﴾ يعني الملائكة ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ أي إنك أجل من أن نحيط بشيء من علمك إلّا ما علمتنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي بخلقك وهو من أسماء الصفات التامة، وهو المحيط

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، مادة: (ع ل م).

بكل المعلومات الْحَكِيمُ أي في أمرك، وله معنيان أحدهما أنه القاضي العدل والثاني المحكم للأمر كيلا يتطرق إليه الفساد[1].

تداول المعلومات اصطلاحاً:

يتبين من المعنى اللغوي لـ (تداول، معلومات) أن المراد من هذا المصطلح: تدوير المعلومات وانتقالها بين أفراد المجتمع أو المؤسسات سواء تم ذلك بشكل محدود يكون بين أفراد معينين أو مؤسسات محددة، أو بشكل غير محدود بحيث يتم هذا التداول بين الجميع.

ولتداول المعلومات أشكال ووسائل:

- **منها المكتوب،** قال تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ [سورة البقرة:٢٨٢].
- **ومنها المسموع،** قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [سورة المائدة:٤١].
- **ومنها الذي يكون بواسطة،** قال تعالى على لسان الهدهد: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [سورة النمل:٢٢]، أو بواسطة رسول، قال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ [سورة البقرة:١٠٨].

ولا يخفى على أحد أن هذه الطرق والوسائل هي المتعارف عليها، وهي الوسائل الرئيسة في أغلب العصور، بنسب متفاوتة فيما بينها، بحسب توافر الأدوات المتاحة لاستعمالها كأدوات الكتابة مثلاً.

ولما كان الإعلام بينه وبين تداول المعلومات صلة وثيقة كان تعريفه في المنظور الإسلامي: «تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التي

---

(١) انظر: الخازن، أبو الحسن علاء الدين محمد الشيحي: **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح: محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/٢٠١٠م، ج١، ص٣٧، ٣٦.

تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم»[1]

ولا شك أن هذا التعريف للإعلام إنما ينطبق على من تحلى بالتقوى؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [سورة الزمر:٣٣].

وبناء على ما سبق يمكننا أن نعرف مركب تداول المعلومات بأنه: **عملية انتقال واسعة أو محدودة لمعلومات قد تكون مهمة أو غير مهمة، وصادقة أو غير صادقة لتحقيق دوافع معينة.**

المطلب الثاني: أهمية تداول المعلومات:

مما لا شك فيه أن لتداول المعلومات وتدويرها وانتقالها من جهة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر بعد التبين والتثبت منها جانباً إيجابياً على عدة مستويات وأصعدة، سواء كان على المستوى المعرفي أو الاجتماعي أو السياسي أو العسكري أو الاقتصادي، وسواء كان هذا التداول بتوجيه وإشراف من جهة رسمية، أو بطلب واجتهاد فردي.

وتتجلى أهمية تداول المعلومات فيما يأتي:

١. رفع الجهل.
٢. تمايز الناس بدرجاتهم في المعرفة.
٣. تمكين أهل الخبرة من القيام بمسؤولياتهم.
٤. التواصل والتراحم.
٥. معرفة الحقوق والواجبات.

---

(١) الإمام، إبراهيم: **الإعلام الإسلامي**، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٢٧.

٦. التحصين الأمني للمجتمع.

وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

١. رفع الجهل:

إن من أهمية تداول المعلومات والحصول عليها رفع الجهل عن متلقي المعلومة، وقد استعاذ نبي الله موسى عليه السلام من الجهل، حيث قال الله على لسانه: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [سورة البقرة:٦٧]، وكان من المفترض أن يقول أعوذ بالله أن أكون من المستهزئين، لأن رد قومه عليه عندما طلب منهم بأمر الله أن يذبحوا بقرة هو: هل تستهزئ بنا؟!!، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [سورة البقرة:٦٧]، ولكن موسى عليه السلام عبر بـ (الجهل) إشارة إلى أن الاستهزاء بالناس جهل، ولا يليق أن يصدر من نبي أرسله الله تعالى برسالة فيها من المعلومات والتوجيهات الربانية التي يرفع بها الجهل، وتسعد بها جميع المخلوقات فضلاً عن البشر.

وقد قرر فخر الرازي: «أن الاشتغال بالاستهزاء لا يكون إلا بسبب الجهل، ومنصب النبوة لا يحتمل الإقدام على الاستهزاء، فلم يستعذ موسى عليه السلام من نفس الشيء الذي نسبوه إليه، لكنه استعاذ من السبب الموجب له»[(١)].

ومعلوم أن الله تعالى قد أثنى على نفسه بالعلم في آيات كثيرة فقال: ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [سورة الطلاق:١٢]، وقال في مواضع كثيرة: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة العنكبوت:٦٠]، وقال واصفاً علمه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [سورة الحديد:٤]، وقال تعالى مخاطباً الرسول ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [سورة العلق:١-٤]، وقال على لسان رسوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [سورة طه:١١٤]، وقال على لسان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج٣، ص٥٤٦.

﴿عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [سورة يوسف:٣٧]، فالله هو المعلم وهو العالم بجميع المعلومات ما كان منها، وما سوف يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد علم الإنسان، وجعله يفكر ويخترع ويبدع قال تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق:٥]، وبالعلم تكون رفعة وتفضيل للإنسان. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النمل:١٥].

٢. **تمايز الناس بدرجاتهم في المعرفة:**

بتداول المعلومة، والحصول عليها يرقى الفكر، وتتوسع المدارك، إن كان هذا على مستوى مؤسسي أو فردي، ومن الطبيعي ان يكون هناك تفاضل على قدر المعلومات التي تملكها أي جهة كانت، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر:٩]، قطعاً لا يستوي الذي يعلم المعلومة، ويستفيد منها، ويعمل بها، ويبني عليها، بالذي لا يعلم، ويبني أحكامه على مفاهيم خاطئة، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [سورة البقرة:٧٨]، فهؤلاء جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة، ويتحققوا ما فيها، والأماني: جمع أمنية وهي في الأصل ما يقدره الإنسان في نفسه من منى، والمعنى لكن يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليداً من المحرفين أو مواعيد فارغة، وما هم إلا قوم يظنون لا علم لهم، وقد يطلق الظن بإزاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع، وإن جزم به صاحبه: كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة [(١)].

ويترتب على هذا تفاوت في الدرجات، والامكانيات يقول تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف:٧٦]، «أي نرفع درجاتهم في العلم فلا يزال السالكون يترقون في العلم وتشرب أطيار أرواحهم القدسية من بحار علومه تعالى على

(١) انظر: البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٥، ص٨٩، ٩٠.

مقادير حواصلها، وتنتهي الدرجات بعلم الله تعالى، فإن علوم الخلق محدودة وعلمه تعالى غير محدود، وإلى الله تعالى تصير الأمور»[1]، والاجتهاد سبيل للرقي كما قال الشاعر:

بقدر الكد تكتسب المعالي من طلب العلى سهر الليالي
تريد العز ثم تنام ليلاً يغوص البحر من طلب اللآلي[2]

٣. تمكين أهل الخبرة من القيام بمسؤولياتهم:

إن تداول المعلومات يسهم في تنمية قدرات الفرد ومهاراته، وهذا يتعدى إلى مستواه المعيشي والاقتصادي، خصوصاً إذا تضمنت المعلومات ما يتعلق بالجانب الاقتصادي، فكم من معلومات تتداول لها آثار اقتصادية كبيرة على الدولة فيستفاد من هذا التداول مواجهة الظروف الاقتصادية، وتجنب ويلات التدهور الاقتصادي، وهذا علم لا يعرفه بعد الله وتوفيقه إلا من اجتهد في هذا الجانب، وكان مراقباً لما يحدث، ومتابعا لما يتداول من أخبار ومعلومات اقتصادية، ولا شك أن لكل مقام مقال، ولكل مجال رجال لهم قدم راسخة فيه، ولهذا جاء في القرآن ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [سورة آل عمران:٧] وهم الذين تمكّنوا في العلم، ومعرفة محامله، وقام عندهم من الأدلة ما أرشدهم إلى الصواب، بحيث لا تروج عليهم الضلالات والأخطاء في كل المجالات. والرسوخ في كلام العرب: الثبات والتمكن في المكان، يقال: رسخت القدم ترسخ رسوخاً إذا ثبتت عند المشي ولم تتزلزل، واستعير الرسوخ لكمال العقل والعلم بحيث لا تضلّله الشبه، ولا تتطرّقه الأخطاء غالباً، وشاعت هذه الاستعارة حتى صارت كالحقيقة فالراسخون في العلم: الثابتون فيه العارفون بدقائقه، فهم يحسنون مواقع التأويل ويعلمونه، وفي هذا العطف تشريف عظيم[3].

---

(١) الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٧، ص٧٤.

(٢) المهدي، حسين بن محمد: **صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال**، مراجعة: عبد الحميد محمد المهدي، اليمن، وزارة الثقافة، د.ط، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٢٢.

(٣) بتصرف: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر: **التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)**، تونس، الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٣، ص١٦٤.

لقد علم الله تعالى نبيه يوسف عليه السلام تأويل رؤيا الملك فقال على لسانه: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [سورة يوسف:٤٧-٤٩].

ولا شك أن تداول المعلومات التي رآها الملك بينه وبين الملأ، ثم بينهم وبين الفتى، ثم بين الفتى ويوسف عليه السلام، ثم تداول المعلومات المتعلقة بتعبير الرؤيا بين يوسف والقوم، كل ذلك كان له أثر كبير في تفادي كارثة اقتصادية كانت ستحل بأهل مصر. ثم إن هذا التداول كان له أثر إيجابي أيضا في رفع الظلم عن يوسف وخروجه من السجن.

قال ابن كثير: «هذه الرؤيا من مَلك مصر مما قَدّر الله تعالى أنها كانت سببا لخروج يوسفَ، عليه السلام، من السجن مُعزَّزًا مكرما، وذلك أن المِلك رأى هذه الرؤيا، فهالته وتَعجَّب من أمرها، وما يكون تفسيرها، فجمع الكهنة والحُزَاة وكبراء دولته وأمراءه وقَصَّ عليهم ما رأى، وسألهم عن تأويلها، فلم يعرفوا ذلك»[(١)].

وقد قال يوسف عليه السلام للفتى الذي جاءه ليسأله عن تعبير رؤيا الملك: « تفسير هذه الرؤيا أنكم تزرعون سبع سنين متتابعة جادِّين ليَكْثُر العطاء، فما حصدتم منه في كل مرة فادَّخِروه، واتركوه في سنبله؛ ليتمَّ حفظه من التسوُّس، وليكون أبقى، إلا قليلا مما تأكلونه من الحبوب»[(٢)].

ويرى الباحث أن القصة رغم وجازة عبارتها تتضمن خطط اقتصادية رفيعة المستوى، وفيها من الإرشادات والتوجيهات المحكمة، ومنها ما يأتي:

- نشر ثقافة الادخار.

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **تفسير القرآن الكريم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الرياض، دار طيبة، ط١٩٩٩،٢م/١٤١٩هـ، ج٤، ص٣٩٢.

(٢) نخبة من أساتذة التفسير: **التفسير الميسر**، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٣٠/٢٠٠٩م، ص٢٤١.

- مواجهة التقلبات البيئية، والإنتاجية التي تتناسب مع حجم التحديات الاقتصادية التي قد يمر بها أي مجتمع كان.
- الحفاظ على الصندوق السيادي لكل دولة كما هو متعارف عليه في العصر الحديث، والرجوع إليه وقت الأزمات والمحن.

ثم إن تداول المعلومات له أثر كبير في التفاعل الثقافي البناء، وفي التأثير، والتأثر الإيجابي، إذ من المعلوم أن أي ثقافة تنتقل من مكان إلى أخر بفعل الاحتكاك سواء كان هذا الاحتكاك سلميا وديا، أو في إطار من العداء والصراع، فتنقل هذه الثقافة من منبعها الأصلي ومجتمعها إلى مجتمع آخر، وبغض النظر عن تقبل هذا المجتمع لهذه الثقافة من عدمه، فهناك ثقافات سلبية خطيرة تنتشر وتروج، ولا يمكن ردع أصحابها والتصدي لها إلا من خلال تمكين أهل الخبرة من القيام بمسؤولياتهم في ذلك، وهذا لا يتأتى إلا بتداول المعلومات عنهم وعن مؤهلاتهم، كما حدث في شأن يوسف عليه السلام حين أخبر الفتى القوم بمؤهلاته في تعبير الرؤى، ثم حين أخبرهم يوسف عليه السلام بالخطة المناسبة لمواجهة الأزمة الاقتصادية المتوقعة، وعرض خبراته عليهم كي يمكنوه من الإسهام في تنفيذ هذه الخطة.

كما أن هذا يتم أيضا عند تداول المعلومات ذات البعد السلبي الخطير على الأفراد وعلى المجتمع، إذ يجب تدوير المعلومات التي تحذر منها، كما يجب السعي لمواجهة الثقافة السلبية الضارة الناشئة عنها بثقافة أخرى إيجابية ونافعة.

ومثال هذا السحر، يقول الله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]، «والسحر من المعارف القديمة التي ظهرت في منبع المدنية الأولى أعني ببلاد المشرق، فإنه ظهر في بلاد الكلدان والبابليين، وفي مصر في عصر واحد وذلك في القرن الأربعين قبل المسيح؛ مما يدل على أنها كانت في تينك الأمتين من تعاليم قوم نشأوا قبلهما، فقد وجدت آثار مصرية سحرية في عصر العائلة الخامسة من الفراعنة والعائلة السادسة (٣٩٥١ -٣٧٠٣ق.م) »[(١)].

(١) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج١، ص٦٣١.

وهذا يعني أن معلومات السحر وثقافته قد انتشرت في عدة مجتمعات، وخاصة تلك التي تعاني من الجهل والفقر، أو التي ليس لديها وعي ديني صحيح، وبناء ثقافي متين، ولا شك أن السحر ومن يتداولون معلوماته فتنة، قال الله تعالى: ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]. والفتن «يبتلي الله بها عباده، لينظر من يشكره ممن يكفره... فلذلك يعدون الفتنة منحة، ويشتبه عليهم الخير المحض، بما قد يكون سببا للخير أو للشر»[(١)].

وأنبه إلى أن السلطة الحاكمة في المجتمع المسلم مسؤولة عن دورها في هذا المجال، بحيث تسهم في بناء الوعي الصحيح وترشيد سلوكيات الناس من خلال تداول المعلومات الإيجابية ومواجهة المعلومات السلبية، مع ضرب المثل في الالتزام بمقتضى ما تحث الناس عليه، لأن في فطرة الإنسان ميلاً قوياً للاقتداء بالأكابر، والأمراء، قال تعالى: ﴿أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [سورة الأنعام:٩٠].

قال الطبري: «ومعنى: "الاقتداء" في كلام العرب، بالرجل: اتباع أثره، والأخذ بهديه. يقال: "فلان يقدو فلانًا"، إذا نحا نحوه، واتبع أثره، "قِدَة، وقُدوة وقِدوة وقِدْيَ»[(٢)].

ويتحمل العلماء مسؤولية تضاهي مسؤولية السلطة الحاكمة، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [سورة التوبة:١٢٢] أي

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٧٢٧.

(٢) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي: **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد ومحمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج١١، ص٥٢٠.

ليتعلموا العلم، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسراره، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، ففي هذا فضيلة العلم، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علما، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه؛ فإن انتشار العلم عن العالم يعود عليه بالأجر الدائم الذي لا ينقطع، بل الذي ينميه الله عز وجل له، وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأي منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علما ومنحه فهما[1].

٤. التواصل والتراحم:

إن لتداول المعلومات الخاصة بالأفراح أو المتعلقة بالأتراح، أثر في ترسيخ التواصل والتراحم بين الناس.

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن حزم: ((**انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء. ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ. ولتفشوا العلم. ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون**))[2].

والتواصل والتراحم يسهمان في ترابط الأفراد، والتئام المجتمع، ونبذ الفرقة والشحناء والبغضاء، وهذا ما أمر الله تعالى به في قوله: ﴿**وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا**﴾ [سورة آل عمران:١٠٣].

---

(١) بتصرف: السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٣٥٥.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، حديث رقم: (٣٤)، بيروت، دار بن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص٢٧.

إنها أخوة تنبثق من التقوى والإسلام، هذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها سبحانه على الجماعة المسلمة الأولى، وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائماً، وهو هنا يذكرهم هذه النعمة، يذكرهم كيف كانوا في الجاهلية "أعداء"، ذلك أنه لم يكن في عرب المدينة أعدى من الأوس والخزرج، وهما الحيان العربيان في يثرب، يجاورهما اليهود الذين كانوا يوقدونها حول هذه العداوة وينفخون في نارها حتى تأكل روابط الحيين جميعاً، ومن ثم تجد يهود مجالها الصالح الذي لا تعمل إلا فيه، ولا تعيش إلا معه، فألف الله تعالى بين قلوب الحيين من العرب بالإسلام، وما كان إلا الإسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة، وما كان إلا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله إخواناً، وما يمكن أن يجمع القلوب إلا أخوة في الله، تصغر إلى جانبها الأحقاد التاريخية، والثارات القبلية، والأطماع الشخصية والرايات العنصرية، ويتجمع الصف تحت لواء الله الكبير المتعال. ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾، فألف بين قلوبهم بعد النار التي كانوا على وشك أن يقعوا فيها، وأنقذهم من تلك النار بهدايتهم إلى الاعتصام بحبل الله تعالى، وبالتأليف بين قلوبهم ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ (١).

ولا شك أن تداول المعلومات الخاصة بالأفراح أو المتعلقة بالأتراح، له أثر كبير في ترسيخ التواصل والتراحم بين الناس، وفي تنمية روح الأخوة في المجتمع.

٥. معرفة الحقوق والواجبات:

معروف أن لأي إنسان حقوق يكتسبها بمجرد انتمائه لأي دين أو دولة أو أمة أو جماعة كانت، وفي المقابل تكون عليه واجبات تجاه قد تكون مقدمة في بعض الأحيان على ما له الحقوق، وعليه أن يفهم أنه قبل المطالبة بحقوقه يجب أن يؤدي واجباته تجاه من يطلب الحق منه.

---

(١) انظر: الشاربي، سيد قطب إبراهيم حسين: **في ظلال القرآن**، بيروت، دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج١، ص٤٤٢،٤٤٣.

وهذا ما يفهمه الباحث من قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَآ﴾ [سورة البقرة:٢٢٩].

حيث جاء في تفسيرها أنها «العهود والعقود، يدخل فيها التي بينه وبين الله، وهو: القيام بعبادة الله مخلصا له الدين، والتي بينه وبين العباد من المعاملات ونحوها»[(١)].

ويدخل في ذلك المواطنة التي هي في أصلها حقوق وواجبات، فالمواطنة هي صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق وعليه واجبات يجب أن يلتزم بها، والتي يفرضها عليه انتماؤه لدينه، ووطنه، وللسلطة الحاكمة التي ارتضاها أهل هذا الوطن، وكثير من الناس يجهل الواجبات والحقوق لعدم تداول المعلومات المتعلقة بها.

إن كثير من المساوئ تنتشر في المجتمع بسبب الجهل بالحقوق وبالواجبات، فنحن مثلا عندما نراجع جهة حكومية فالغالب في المعاملة بين المراجع والمسؤول هي عدم الفهم، فالمراجع لا يعلم حدود حقوقه فيلجأ أحيانا إلى الاستجداء، وأحيانا يستعين بشفاعة رجل ذي نفوذ للحصول على هذه الحقوق أو على بعضها، ويرجع السبب في ذلك لجهل المراجع وتعنت المسؤول، فالمراجع يجهل حقوقه والمسؤول ينكر ويتلاعب بهذا الحق، ولو أن كل مسؤول عرف حقوقه وواجباته، لأدرك مآلات الأمور، وقدم واجبه على التمام، وفي الوقت نفسه يجب أن يعرف طالب الحق أن مطالبته تقوم بأداء واجباته المنصوص عليها وفق ما يقتضيه الأمر سواءً تجاه دينه وأمته، أو وطنه أو ولي أمره، فالمعادلة عطاء وأخذ، بمعنى أن يؤدي الإنسان ما عليه ويأخذ الحق الذي له.

ولا شك أن تداول المعلومات الخاصة بالواجبات والحقوق، ومعرفتها والعمل بها من غير ظنون تقي المجتمع من كثير من المفاسد، وتصلح حاله، وينتظم أمره، ويكون شفافاً في جميع أو معظم تعاملاته.

---

(١) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٩٤٣.

وهناك آيات قرآنية كثيرة تنظم تلك الحقوق والواجبات، ومنها ما يأتي:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [سورة النساء:٥٨].
- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ﴾ [سورة النساء:١٣٥].
- قول الله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [سورة آل عمران:١٥٩].

٦. التحصين الأمني للمجتمع:

إن لتداول المعلومات أهمية قصوى على الصعيد الأمني الداخلي والخارجي لأي دولة، لأن الأمن هو الذي يحقق استقرار للبلاد، والعباد، ويتحقق به السلام، ولهذا قرن الله تعالى في خطابه لموسى بين النهي عن الخوف وتحقيق الأمن، قال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾ [سورة القصص:٣١]، فاستبدل الله تبارك وتعالى خوف موسى عليه السلام بالأمن، والطمأنينة، يقول السعدي: «وهذا أبلغ ما يكون في التأمين، وعدم الخوف»[(١)].

ويتحقق الأمن بتداول المعلومات من عدة جوانب، منها ما يأتي:

أ. تبادل المعلومات بين الأجهزة الأمنية:

وهذا التداول يكون على مستوى ضيق، وعادة ما يكون بين الأجهزة الشقيقة والصديقة التي يكون بينها تعاون مشترك في قضايا مشتركة، فتستفيد الأطراف من هذا التبادل المعلوماتي استفادة تجعلها تعرف ولا تنكر، وتتأنى وتصبر في التعامل مع هذه المعلومات بعد

(١) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٦١٥.

الإحاطة بها، لأن الجاهل وغير المحيط بالشيء علما لا صبر له، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [سورة الكهف:٦٨].

قال ابن كثير في تفسيرها: «فأنا أعرف أنك ستنكر علي ما أنت معذور فيه، ولكنْ ما اطلعت على حكمته ومصلحته الباطنة التي اطلعت أنا عليها دونك»[(١)].

وقال تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [سورة الكهف:٧٨]. «أي سأخبرك بحكمة هذه المسائل الثلاثة، وأصل التأويل راجع إلى قولهم آل الأمر إلى كذا أي صار إليه، فإذا قيل: ما تأويله فالمعنى ما مصيره»[(٢)].

ولا شك أن تدفق المعلومات الأمنية للجهات المختصة في أي دولة يزيدها قوة وحصانة واستقرارا، ويكون بمثابة النور الذي يكشف لها مزالق الطريق، بعكس الدول والأجهزة التي لا تملك المعلومات، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [سورة الرعد:١٦]، فالذي لا يُبصر شيئًا ولا يهتدي لمحجة يسلكها لا يمكن أن يستوي بالبصير الذي يتحرك على بينة ونور، تماما كما لا تستوي الظلماتُ التي لا تُرَى فيها المحجة فتُسْلَك ولا يرى فيها السبيل فيُرْكَب والنور الذي تبصر به الأشياء ويجلو ضوءه الظّلام. يقول: إن هذين لا شك لغير مستويين[(٣)].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر:٩]، قال البيضاوي في تفسيره: «نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم»[(٤)].

---

(١) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج٥، ص١٨١.

(٢) الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٢١، ص٤٨٩.

(٣) بتصرف: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٦، ص٤٠٦.

(٤) البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٥، ص٣٨.

إن القرارات الاستراتيجية في أي بلد تنبني على المعلومات المتوفرة لدى صناع القرار ومتخذيه، ولا يمكن حماية الوطن من المخاطر إلا بمعرفة أعدائه والوقوف على مخططاتهم سواء كانوا في الخارج أم في الداخل، وهم الذين يتخفون ولا يعلم في ظاهرهم إلا التقوى والورع، كالخوارج تماماً، فقد كانوا زهادًا وعبادًا لا يظهر في عبادتهم إلا أنهم صالحون مصلحون يغرون عوام المسلمين من حاكم ومحكوم ويلبسون عليهم، ولهذا حرص الرسول ﷺ على تحديد سماتهم وبيان الطريقة المثلى للتعامل معهم.

فعندما عندما أراد عمر بن الخطاب ﷺ أن يضرب عنق الخارجي ذي الخويصرة التميمي عندما ادعى على الرسول عدم الإنصاف في القسمة قال ﷺ: ((**دعه؛ فإنَّ له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة**))[(١)].

قال الآجري: «لم يختلف العلماء قديما وحديثا أن الخوارج قوم سوء عصاة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، نعم، ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين، وقد حذرنا الله تعالى منهم، وحذرنا النبي ﷺ، وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان، والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديما وحديثا، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين»[(٢)].

ولا شك أن تبادل المعلومات المتعلقة بهؤلاء – وغيرهم – مهم جداً لأنهم ليسوا جميعهم على حال واحد ولا مشرب واحد، وهم مختلفون قديماً وحديثاً، تتعدد أسماؤهم وتختلف عقائدهم وطرقهم، إلا أن مبدأهم الذي يجتمعون عليه هو التكفير والغلو في الدين، وشق

---

(١) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: (٣٦١٠)، ص٦٥٣.

(٢) الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله: **الشريعة**، تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الرياض، دار الوطن، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج١، ص٣٢٥،٣٢٦.

صف جماعة المسلمين، ومنهم هؤلاء الذين خرجوا على ابن عم الرسول وصهره المبشر بالجنة رابع الخلفاء الرشدين علي ابن ابي طالب ﷺ، وفي ظنهم أنهم بهذا قد نصروا الدين.

ولهذا أسقط كثير من المفسرين عليهم قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [سورة الكهف:١٠٤]. قال ابن كثير في تفسيره: «قال علي بن أبي طالب والضحاك، وغير واحد: هم الحرورية، ومعنى هذا عن علي، ﷺ: أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم، لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء، بل هي أعم من هذا؛ فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية، وإنما هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود »[(١)].

وقد ذكر الباحث هنا مثال الخوارج، لأنهم من أخطر الجماعات في العصر الحديث، ويشكلون جماعات متعددة مع اختلاف أهدافهم وطرقهم، منها القديم كأهل النهروان[(٢)]، والجديد كالدولة الإسلامية المزعومة في العراق والشام (داعش)[(٣)]، وهم الذين باتوا يدخلون على المجتمعات، والشباب والجهال خاصة من أبواب متعددة، وأشكال مختلفة في ظل ثورة التواصل الاجتماعي، كما يجدر بنا التنبه إلى الفئة الأكبر من الخوارج الذين صنعوا لهم دولاً، وخرجوا عن إجماع الأمة، وفارقوها في مصادر التشريع تأويلاً للقرآن ورداً للسنة.

---

(١) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج٥، ص٢٠٢.

(٢) هم الذين خرجوا على الخليفة الرابع الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وللخوارج فرق عدة: (المحكمة الأولى، النجدات، والأزارقة، والإباضية، والثعالبية، الصفرية، وغيرهم) وهم مختلفون متشاجرون فيما بينهم، ولا يؤثر اختلافهم على جوهر مذهبهم، ولم يكن فيهم أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

(٣) إن خوارج العصر الحديث مجموعات عدة، ومنها داعش التي تسمي نفسها بالدولة الإسلامية في العراق والشام انفصلت عن جبهة النصرة التابعة لتنظيم القاعدة، وباتوا يكفرون بعضهم، كأن التاريخ يعيد نفسه في اختلاف الخوارج، فالإباضية قاتلت الأزارقة عندما اختلفوا، والخوارج في العصر الحديث أشد خطراً، ومكراً، وخبثاً لأنهم لا يواجهون، ويتخفون، ويستخدمون أبشع صنوف الأذى ضد مخالفيهم من المسلمين قبل غير المسلمين، ولهذا يجب المبالغة في الحذر منهم، وتداول المعلومات التي تنأى بالشباب عن الالتحاق بهم.

ب. **معرفة الرأي العام:**

من خلال تداول الأخبار، والمعلومات حيال أي قضية كانت يمكن أن يقاس الرأي العام وردود افعاله قبل اتخاذ القرار من أصحاب القرار بحيث يكون هناك استعداد للرد على كل ما يثار، وأضرب مثلا لذلك بما حدث عند نزول قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [سورة البقرة:٢٢٣].

يقول الطبري في تفسيرها: «وأما الذين قالوا: معنى قوله: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، كيف شئتم مقبلة ومدبرة في الفرْج والقُبُل، فإنهم قالوا: إن الآية إنما نزلت في استنكار قوم من اليهود، استنكروا إتيان النساء في أقبالهن من قِبل أدبارهن. قالوا: وفي ذلك دليل على صحة ما قلنا، من أن معنى ذلك على ما قلنا. واعتلوا لقيلهم ذلك بما حدثني به أبو كريب قال، حدثنا المحاربي قال، حدثنا محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عَرَضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية وأساله عنها، حتى انتهى إلى هذه الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، فقال ابن عباس: إن هذا الحي من قريش كانوا يشرحون النساء بمكة، ويتلذذون بهن مقبلاتٍ ومدبراتٍ. فلما قدموا المدينة تزوّجوا في الأنصار، فذهبوا ليفعلوا بهن كما كانوا يفعلون بالنساء بمكة، فأنكرن ذلك وقلن: هذا شيء لم نكن نُؤْتَى عليه! فانتشر الحديث حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى ذكره في ذلك: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، إن شئت فمقبلة، وإن شئت فمدبرة، وإن شئت فباركة، وإنما يعني بذلك موضع الولد للحرث. يقول: ائت الحرث من حيث شئت»[(١)].

وهذا يعني أن الخبر عندما انتشر، وتم تداول المعلومات المتعلقة به ووصل للرسول ﷺ جاء التوضيح والبيان من الله تعالى، ثم من الرسول ﷺ.

---

(١) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٤، ص٤٠٨، ٤٠٩.

وكذلك عندما انتشر بين الناس ما حدث بين امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام، فقد قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ [سورة يوسف:٣٠]، وهذا «يعني: أن الخبر اشتهر وشاع في البلد، وتحدث به النسوة فجعلن يلمنها»[(١)].

فقامت امرأة العزيز باتخاذ إجراءات على ضوء المعلومات التي وصلتها فيما يتعلق بما تتداوله النسوة، وقد ذكر الله تعالى تلك الإجراءات في قوله: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [سورة يوسف:٣١-٣٢].

وهذا يعني أنها لم تستسلم للمعلومات المتداولة بشأنها في أوساط الرأي النسوي العام، ولكنها حرصت على تقديم المبررات التي بها يمكن للنسوة أن يعذرنها، وأن يتوقفن عن توجيه اللوم لها، وهو الأمر الذي حدث بالفعل: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ فاستعادت كبرياءها وقالت لهن: ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

ولا شك أن هناك أجهزة كثيرة تستعين بالإعلام سواء المرئي أو المسموع أو بغيرها من الوسائل لقياس الرأي، وتقوم بإجراء الدراسات التي تساعدها في إعداد خططها اللازمة، وهذا يدخل في التحسس الذي سنأتي إليه في هذا البحث في موضعه بحول الله تعالى.

---

(١) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٣٩٦.

المبحث الثاني

مفهوم التبين والتثبت وأهميتهما

المطلب الأول: مفهوم التبين والتثبت:

التبين لغةً واصطلاحاً:

التبين لغةً: للتبين معاني عديدة منها: الوضوح، والظهور، والانكشاف، والتبصرة، والتأمل، والتوسم، والبيان: أي الخطاب، والتدبر، والتفكر، وغيرها من المعاني.

قال ابن فارس: «الباء والياء والنون أصلٌ واحد، وهو بُعْدُ الشّيء وانكشافُه. وفلانٌ أبْيَنُ مِنْ فلانٍ؛ أي أوضَحُ كلاماً منه»[(١)].

وفي لسان العرب: «والبَيانُ: ما بُيِّنَ به الشيءُ من الدلالة وغيرِها. وبانَ الشيءُ بَياناً: اتَّضَح، فهو بَيِّنٌ والجمع أَبْيِناءُ،... وأَبَنْتُه أَي أَوْضَحْتُه. واستَبانَ الشيءُ: ظهَر. واستَبَنْتُه أَنا: عرَفتُه. وتَبَيَّنَ الشيءُ: ظَهَر، وتَبيَّنْتهُ أَنا، تتعدَّى هذه الثلاثةُ ولا تتعدّى. وقالوا: بانَ الشيءُ واسْتَبانَ وتَبيَّن وأَبانَ وبَيَّنَ بمعنى واحد. والتَّبْيينُ: الإيضاح. والتَّبْيين أَيضاً: الوُضوحُ؛ قال النابغة: إلاَّ الأَوارِيّ لأْياً ما أُبَيِّنُها، والنُّؤْيُ كالحَوض بالمظلومة الجلَد يعني أَتَبيَّنُها. ويقال: تبَيَّنْت الأَمر أَي تأَمَّلته وتوسَّمْتُه، وقد تبيَّنَ الأَمرُ يكون لازِماً وواقِعاً، وكذلك بَيَّنْته فبَيَّن أَي تَبَيَّن، لازمٌ ومتعدّ. وقوله عز وجل: ﴿**لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ**﴾ [سورة الطلاق:١] أَي ظاهرة مُتَبيِّنة»[(٢)].

ويقول الجوهري: «والبَيانُ: ما يَتَبَيَّنُ به الشيءُ من الدَّلالة وغيرها»[(٣)].

---

(١) الرازي، احمد بن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، مادة: (بين).

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، مادة: (بين).

(٣) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: **الصحاح**، مادة: (بين).

والبيان أيضاً: هو التعبير عما في النفس والضمير، والغرض منه إفهام الغير. وقيل: هو الكشف عن شيء. وهو أعم من النطق؛ وقد يطلق على نفس التبليغ، كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [سورة إبراهيم:٤]، وللبيان عدة أوجه ومنها بيان التفسير، ويقصد به: «بيان ما فيه خفاء من المشترك، أو المشكل، أو المجمل، أو الخفي»[(١)].

التبين اصطلاحاً: هناك عدة تعريفات للتبين منها ما يأتي:

يعرف بعض علماء القراءات ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [سورة النساء:٩٤]، [سورة الحجرات:٦]، فيقولون: «بالياء والنون أي فافحصوا واكشفوا»[(٢)].

قال الشوكاني: «التبين: التعرّف والتفحص»[(٣)].

وقال الجصاص: «التبين: وهو العلم»[(٤)].

وعرفه الكفوي بأنه «علم يحصل بعد الالتباس»[(٥)].

في حين عرفه محمد رشيد رضا بأنه: «طلب بيان الأمر»[(٦)].

---

(١) انظر: الكفوي، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي: **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص١٩٠.

(٢) ابن زنجلة، أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد: **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٢٠٩.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله: **فتح القدير**، دمشق، دار ابن كثير، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج٥، ص٧١.

(٤) الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي: **أحكام القرآن**، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج٣، ص٥٣٠.

(٥) الكفوي: **الكليات**، ص٥٥.

(٦) رضا، محمد رشيد بن علي: **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٤١٠هـ/١٩٩٠، ج٥، ص٢٨٣.

وقال الشرباصي: «(تبين الأمور) فيه معنى التبصر والاستيضاح، والتأكد من الأمر قبل الحكم له أو عليه... ومعنى تبين الأمور قريب من التبصر والاستبصار؛ لأن البصر يطلق أحياناً على العلم القوي المضاهي لإدراك الرؤية، والقرآن الكريم يقول مثلاً: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾ [سورة الأنعام:١٠٤]»[(١)].

وعرفه العليمي بأنه «التأكد من صحة الشيء وثبوته، وعدم التسرع في الحكم على الأمور قبل أن يتأكد من صحتها»[(٢)].

بينما عرفه وردات بأنه «التوقف في الأمر الواقع، والخبر الوارد، من أجل ظهوره، وانكشافه، والوقوف على حقيقته، والتأكد منه بحجة أو وسيلة معينة»[(٣)].

وجماع التعريفات السابقة يفيد أن التبين هو البحث في الأمر حتى يظهر وينكشف بناء على علامة أو دليل أو أي وسيلة تنفي أي جهل به.

قال الراغب في وصف الآيات التي تتحدث عن البيان، والبينة، والتبين: «وآيات مبينات ومبينات، والبينة الدلالة الواضحة عقلية كانت أم محسوسة، وسمي الكلام بياناً لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره نحو ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:١٣٨]»[(٤)].

والعلامة التي ذكرتها في جماع تعريفات التبين تكون برمز كدخول الفجر في الإمساك للصيام، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ

---

(١) الشرباصي، أبو حازم احمد: **موسوعة أخلاق القرآن**، بيروت، دار الرائد العربي، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٣، ص١٥.

(٢) العليمي، احمد محمد: **التثبت والتبين في المنهج الإسلامي**، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص١٥.

(٣) وردات: **منهج القرآن الكريم في التثبت**، ص٤١.

(٤) انظر: الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، بيروت، دار المعرفة، ط٧، ١٤٣٥/٢٠١٤م، ص٤٥،٤٦.

﴿ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [سورة البقرة:١٨٧]، «أباح تعالى الأكل والشرب، مع ما تقدم من إباحة الجماع في أيّ الليل شاء الصائمُ إلى أن يتبين ضياءُ الصباح من سواد الليل»[١].

أما الدليل فهو أي آية كالشاهد والبصيرة التي يهتدى بها، ويرجح بها الأمر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة القصص:٤٣]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [سورة هود:١٧].

إن البيان يكون على ضربين: أحدهما بالتنجيز وهو الأشياء التي تدل على حال من الأحوال من آثار صنعه. والثاني بالاختبار وذلك إما أن يكون نطقاً أو كتابة أو إشارة[٢].

فقد يكون **بالكلام**، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٤٣]، قال الشوكاني: «أي أخبروني بعلم لا بجهل إن كنتم صادقين. والمراد من هذا التبكيت لهم وإلزام الحجة»[٣].

أو **بمكتوب**، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [سورة البقرة:٢٨٢]، يقول ابن عاشور في تفسيرها: «فإنه كالبيان لكيفية فاكتبوه»[٤].

أو بالمشاهدة، كنبي الله موسى عليه السلام عندما طلب أن يرى الله تبارك وتعالى، فبين له ربنا عز وجل بالمشاهدة أن رؤيته في الدنيا مستحيلة، حيث قال تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ

---

(١) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج١، ص٥١٢.

(٢) الراغب الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص٤٦.

(٣) الشوكاني: **فتح القدير**، ج٢، ص١٩٥.

(٤) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٣، ص١٠١.

﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ﴾ [سورة الأعراف:١٤٣] وقد ورد في تفسير هذه الآية أنه «لما جاء موسى في الوقت المحدد وهو تمام أربعين ليلة، وكلَّمه ربه بما كلَّمه من وحيه وأمره ونهيه، طمع في رؤية الله فطلب النظر إليه، قال الله له: لن تراني، أي لن تقدر على رؤيتي في الدنيا، ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه إذا تجلَّيتُ له فسوف تراني، فلما تجلَّى ربه للجبل جعله دكًّا مستويًا بالأرض، وسقط موسى مغشيًّا عليه، فلما أفاق من غشيته قال: تنزيهًا لك يا رب عما لا يليق بجلالك، إني تبت إليك من مسألتي إياك الرؤية في هذه الحياة الدنيا، وأنا أول المؤمنين بك من قومي»[(١)].

يقول البيضاوي بعد أن ذكر أن الرؤيا غير ممكنه في الدنيا ولا يطيق أحد ذلك، وأما في الآخرة فهي ثابته بالدليل والحجة: « ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه»[(٢)].

وعلى إثر التبين بمعانيه السابقة يتم التحري والتحقيق؛ أي أن التبين يتبعه التثبت، والمقصود أنه بعد أن يظهر الأمر، وينكشف يجب أن يتم فحص كل الدوافع والملابسات المتعلقة به، فقد يتبين لك أن فلانا قد فعل أمرا أو قال كلاما يوجب اللوم بل المؤاخذة والمعاقبة، لكن التثبت يدفع ذلك تماما، وقصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح الذي خرق السفينة ثم قتل الغلام تؤكد ذلك، قال الله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ۝٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ۝٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ۝٧٣ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسَۢا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا نُّكۡرٗا﴾ [سورة الكهف:٧١ ـ ٧٤].

---

(١) نخبة من أساتذة التفسير: **التفسير الميسر**، ص١٦٧.

(٢) البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٣، ص٣٣.

لقد تبين لموسى عليه السلام أن العبد الصالح هو الذي خرق السفينة وقتل الغلام؛ لأنه شاهده بأم عينيه وهو يفعل ذلك، فسأله سؤال استنكار عن سر فعله لذلك ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾، ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ لكن الاستنكار جاء في صيغة الاستفهام الذي يؤكد الرغبة في التثبت من الدوافع والملابسات التي تقف وراء هذين الفعلين الشنيعين، وقد جاء الرد من العبد الصالح ليؤكد أن الإنسان لا ينبغي أن يقف عند حد التبين من الأمور والأحداث لكنه يجب أن يسعى إلى التثبت منها، ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [سورة الكهف:٧٩ ٨١].

ومن هنا يلزم أن ننتقل من بيان مدلول التبين في اللغة والاصطلاح إلى بيان مدلول التثبت، لأنهما مرتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا.

التثبت لغةً واصطلاحاً:

التثبت لغةً: للتثبت معاني عديدة منها التأكد، والتيقن، والاستقرار، والمعرفة التامة، واطمئنان القلب، وغيرها، يقال: «ثَبَتَ الشيءُ يَثْبُتُ ثَباتاً وثُبوتاً فهو ثابتٌ وثَبِيتٌ وثَبْتٌ، وأَثْبَتَه هو، وثَبَّتَه بمعنىً. وشيء ثَبْتٌ: ثابتٌ... ويقال ثَبَتَ فلانٌ في المكان يَثْبُتُ ثبُوتاً، فهو ثابتٌ إذا أَقام به.... وتَثَبَّتَ في الأَمْر والرَّأْي، واستَثْبَتَ: تَأَنَّى فيه ولم يَعْجَل.... وثابَته وأَثْبَتَه: عَرَفَه حَقَّ المعْرفة.... وأَثْبَتَ حجته: أَقامها وأَوْضَحها. وقولٌ ثابتٌ: صحيح»[1]. «ورجل ثَبْتٌ، أي ثابتُ القلب. قال الشاعر: ثَبْتٌ إذا ما صيحَ بالقوم وَقَرْ»[2].

(١) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة: (بثبت).

(٢) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: **الصحاح**، مادة: (ثبت).

والإثبات والتثبيت تارة يكون بالفعل، فيقال لما يخرج من العدم إلى الوجود، نحو أثبت الله كذا وثبته، وتارة لما يكون بالقول سواءٌ كان ذلك صدقاً أو كذباً، فيقال فيما كان صدقا: أثبت التوحيد وصدق النبوة، ويقال فيما كان كذبا: فلانٌ أثبت مع الله إلهاً آخر[١].

وللتثبت علاقة قوية جداً بالتيقن، فقد قال الراغب: «يقين: اليقين من صفة العلم وفوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال علم يقين ولا يقال معرفة يقين، هو سكون الفهم مع ثبات الحكم»[٢].

إن اليقين: في اللغة: العلم الذي لا شك معه، وفي الاصطلاح: اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا، مطابقًا للواقع غير ممكن الزوال، والقيد الأول جنس يشتمل على الظن أيضًا، والقيد الثاني يخرج الظن، والقيد الثالث يخرج الجهل، أما القيد الرابع فيخرج اعتقاد المقلد المصيب.

واليقين عند أهل الحقيقة: رؤية العيان بقوة الإيمان، لا بالحجة والبرهان. وقيل: بمشاهدة الغيوب بصفاء القلوب، وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار. وقيل: هو طمأنينة القلب على حقيقة الشيء، يقال: يقن الماء في الحوض، إذا استقر فيه.

وقيل: اليقين: رؤية العيان. وقيل: تحقيق التصديق بالغيب بإزالة كل شك وريب. وقيل: اليقين: نقيض الشك. وقيل: إنه رؤية العيان بنور الإيمان. وقيل: إنه ارتفاع الريب في مشهد الغيب. وقيل: اليقين: العلم الحاصل بعد الشك[٣].

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص٨٤.

(٢) **المصدر السابق**: ص٥٥٣.

(٣) انظر: الجرجاني، على بن محمد الشريف: **كتاب التعريفات**، تحقيق وزيادة: محمد عبدالرحمن المرعشلي، بيروت، دار النفائس، ط٣، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٣٦٣.

وفي الكليات: «اليقين: الاعتقاد الجازم الثابت وقيل عبارة عن العلم المستقر في القلب لثبوته من سبب متعين له بحيث لا يقبل الانهدام، من (يقن الماء في الحوض) إذا استقر ودام. واليقين أبلغ علم وأوكده، لا يكون معه مجال عناد، ولا احتمال زوال»[1].

ثم إن للإقرار علاقة وثيقة بالتثبت والإثبات ولهذا كان من الأصول المعتمد عليها في التقاضي، قال الكفوي: «الإقرار: هو إثبات الشيء باللسان أو القلب أو بهما، وإبقاء الأمر على حاله»[2].

التثبت اصطلاحاً: وردت عدة تعريفات اصطلاحية للتثبت، ومنها ما يأتي:

قرأ بعض علماء القراءات ومنهم الإمامان حمزة والكسائي قول الله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [سورة النساء:٩٤]، [سورة الحجرات:٦]، بالثاء أي ﴿**فتثبتوا**﴾ «أي فتأنوا وتوقفوا حتى تتيقنوا صحة الخبر»[3].

قال الشوكاني: «التثبت: الأناة، وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر»[4].

وقال ابن عاشور: «التثبت التحري، وتطلب الثبات، وهو الصدق»[5].

---

(١) الكفوي: **الكليات**، ص٨٢٤.

(٢) الكفوي: **الكليات**، ص١٣٣.

(٣) ابن زنجلة: **حجة القراءات**، ص٢٠٩.

(٤) الشوكاني: **فتح القدير**، ج٥، ص٧١.

(٥) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٢٦، ص٢٣١.

وجاء في لباب التأويل للخازن: «التثبت وهو خلاف العجلة، والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الأمر الذي تقدمون عليه ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [سورة النساء:٩٤]»[١].

وقال ابن عجيبة في تفسيره: « التثبيت بمعنى التثبت، أي: التحقق»[٢].

أما تعريف الموسوعة الفقيه الكويتية للتثبت فهو: «تفريغ الوسع والجهد لمعرفة حقيقة الحال المراد»[٣].

وعرفه العليمي بأنه «التأكّد من صحة الشيء وثبوته، وعدم التّسرع في الحكم على الأمور قبل أن يتأكّد من صحتها»[٤].

وعرفه وردات بأنه «التأكد والتحقق من صحة الأفعال والأقوال الواقعة، أو الآتية الواردة، بوسيلة مخصوصة»[٥].

ويعرف محمد أحمد التثبت فيقول: «التأني، والتريث، وعدم التسرع والعجلة في كل ما يأتي الإنسان من أقوال وأعمال وإصدار أحكام، حتى يتبين له الحق، ويظهر له الصواب، ولا يندم حيث لا ينفع الندم»[٦].

---

(١) الخازن: **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج١، ص٤١٣.

(٢) الحسني، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة: **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج١، ص٢٩٩.

(٣) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية: **الموسوعة الفقهية الكويتية**، الكويت، مكتبة ذات السلاسل، ط٢، ١٩٨٧م، ج١٠، ص١٤٢.

(٤) العليمي: **التثبت والتبين في المنهج الإسلامي**، ص١٥.

(٥) وردات: **منهج القرآن الكريم في التثبت**، ص٢٠.

(٦) أحمد، محمد محمد أحمد: **التثبت في القرآن الكريم**، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، أطروحة ماجستير في أصول الدين، ص١٣.

وبالنظر في التعريفات السابقة يلاحظ أنها تتفق في أن التثبت هو التوقف، والتأني، وعدم الاستعجال، والتحقق، والتبصر في الأمر، إلا أن أغلب التعريفات لم تذكر ضرورة وجود وسيلة مخصوصة للتثبت، إلا تعريف وردات، كما أن الموسوعة الكويتية هي التي ذكرت تفريغ الوسع والجهد.

وبعد هذه التعريفات يمكننا القول إن التثبت هو: **تفريغ الوسع والجهد في البحث والتحقيق للتأكد من صحة بيانات أو معلومات وملابسات أمر ما، وهذا يتعلق بالأقوال، والأفعال، ويكون بوسيلة مخصوصة.**

أما البحث والتحقيق فيتجلى فيما فعله العزيز وشاهده في أمر يوسف عليه السلام مع المرأة التي راودته عن نفسه، وفيما فعله الملك مع النسوة الذين فعلوا معه نفس الشيء.

قال تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [سورة يوسف:٢٦-٢٨] فعندما رأى العزيز يوسف عليه السلام مع زوجته لدى الباب، واتهمت المرأة يوسف بأنه قد أراد بها السوء، رد يوسف بأنها قد راودته عن نفسه شهد الشاهد من أهلها **إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ** وهذا دليل واضح «لأن ذلك يدل على أنه هو المقبل عليها، المراود لها المعالج، وأنها أرادت أن تدفعه عنها، فشقت قميصه من هذا الجانب»[(١)].

وقال تعالى على لسان الملك مخاطبا النسوة: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة يوسف:٥١]

---

(١) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٣٩٦.

وأما عبارة "للتأكد من صحة بيانات أو معلومات أو ملابسات أمر ما" فلأن هذه الأمور قد تكون صحيحة، وقد تكون غير صحيحة، كوجود الدليل المصطنع، أو شاهد الزور، أو بيان مكتوب ظهر وانكشف أنه مزور.

وفي القرآن الكريم حوار دار بين أهل الكهف يتضمن مقطعاً يشير إلى ذلك، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف:١٩].

فعندما شك أصحاب الكهف في مدة نومهم، وتباحثوا فيما بينهم؛ بدأوا يخططون لكي يتثبتوا من الأمر، وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول رقدتهم[١].

وكانت عندهم البينة التي قد يقطع بها الشك، وهي الدراهم، قال الله تعالى على لسان كبيرهم: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾.

نقل الرازي عن ابن عباس: «هو رئيسهم يمليخا، ردّ علم ذلك إلى الله تعالى؛ لأنه لما نظر إلى أشعارهم وأظفارهم وبشرة وجوههم رأى فيها آثار التغير الشديد، فعلم أن مثل ذلك التغير لا يحصل إلا في الأيام الطويلة»[٢].

وقد أراد أن يتثبت من ذلك فطلب أن يرسلوا واحدا منهم بالورق الذي معهم ليشتري لهم طعاما، وبهذا سيتثبت من صلاحية الدراهم، ومن أهل المدينة، «وكأن الذين قالوا ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول. ولقائل أن يقول: قوله

(١) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٧، ص٦٢٧.

(٢) الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٢١، ص٤٤٥.

عنهم ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ يدل على أنهم لم يحصوا مدة لبثهم...، وقد يجاب عن ذلك بأن رد العلم إلى الله لا ينافي العلم، بدليل أن الله أعلم نبيه بمدة لبثهم في قوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [سورة الكهف:٢٥]»[(١)].

وعلى هذا قد يكون شكهم لأن المدة الكبيرة التي مكثوها في الكهف قد غيرت من هيئاتهم، فقد قال تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [سورة الكهف:١٨]. ذلك أن الناظر إليهم يأخذه الرعب منهم فزعاً بسبب طول أظفارهم وشعورهم[(٢)].

أما قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ [سورة الكهف:١٩]، فيتبادر إلى الذهن منه أنهم كانوا في شك من أمرهم، ذلك أنك عندما تبعث أحد ليشتري حاجة من السوق، فإنك تقول له اذهب إلى السوق، واحضر كذا وكذا، ولا يقال غالباً اذهب بهذه النقود، واحضر كذا وكذا، وهذا يؤكد أن النقود كانت علامة سيتثبت منها أهل الكهف من أمور كثيرة كانوا في أمس الحاجة إلى التثبت منها.

ولهذا يظهر للباحث ـ في ضوء ما سبق ـ أنهم قد خافوا من أن يشعر بهم أحد سواء من أهل مدينتهم كونهم كانوا مطلوبين لهم، أو في زمان آخر، ولهذا قالوا: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾، أي لينتبه حتى لا يشعر بنا أحد. «وليترفق في الطريق، وفي المدينة، وليكن في ستر وكتمان»[(٣)].

---

(١) الشنقيطي، حمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج٣، ص٢٠٨،٢٠٩.

(٢) انظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: **النكت والعيون (تفسير الماوردي)**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، ج٣، ص٢٩٢.

(٣) البغوي: **معالم التنزيل**، ج٥، ص١٦٠.

وأما عبارة "وهذا يتعلق بالأقوال والأفعال" فلأن التثبت يكون بالتحقق من **الأقوال** الصادرة أو الواردة أو، المتداولة، كما حدث للرسول ﷺ عندما عاتبه الله تعالى في إذنه للبعض في القعود عن الجهاد، بحجج لم يتثبت منها، فقال تعالى: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [سورة التوبة:٤٣].

يقول النيسابوري: «ولا يمكن أن يكون المراد من ذلك التبين هو التبين بطريق الوحي؛ وإلا كان ترك ذلك كبيرة فتعين أن يحمل التبين على استعلام الحال بطريق الاجتهاد ليكون الخطأ واقعاً في الاجتهاد لا في النص ويدخل تحت قوله ـ أي النبي ﷺ ـ: «ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد»[(١)] وفي الآية دلالة على وجوب الاحتراز عن العجلة وترك الاغترار بظواهر الأمور»[(٢)].

وأما الأفعال فيشير إليها قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة الممتحنة:١].

قال المفسرون: نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة كما جاء في الحديث، وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة، ورسول الله

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي: **الجامع الصحيح، سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي يصيب ويخطئ، حديث رقم: (١٣٢٦)، ص٣٨٤. قال عنه أبو عيسى: حديث أبي هريرة حسن غريب.

(٢) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين: **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٣، ص٤٧٦.

ﷺ يتجهز لفتح مكة، فقال لها رسول الله ﷺ: أمسلمة جئتِ؟ قالت: لا. قال: أمهاجرة جئتِ؟ قالت: لا. قال: فما جاء بكِ؟ قالت: كنتم الأصل والعشيرة والموالي، وقد ذهبت مواليَّ وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني، فقال لها: وأين أنت من شبان مكة؟ وكانت مغنية نائحة، قالت: ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر، فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وبني المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى، فكتب معها إلى أهل مكة، وأعطاها عشرة دنانير، وكساها بُرْدًا على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، وكتب في الكتاب: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، إن رسول الله ﷺ يريدكم، فخذوا حِذْركم. فخرجت سارة، ونزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بما فعل، فبعث رسول الله ﷺ عليًا وعمارًا والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد فرسانًا فقال لهم: ((**انطلقوا حتى تأتوا "روضة خاخ" فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فخذوا منها وخلوا سبيلها، وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها**)).

قال: فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله ﷺ فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها كتاب، فبحثوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابًا فهمُّوا بالرجوع، فقال علي رضي الله عنه: والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ، وسلَّ سيفه فقال: أخرجي الكتاب وإلا لأجردنك ولأضربن عنقك. فلما رأت الجد؛ أخرجته من ذؤابتها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب، فأتاه فقال: هل تعرف الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله، والله ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت غريبًا فيهم، وكان أهلي بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يدًا، وقد علمت، أن الله ينزل بهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله ﷺ

وعذره. فقام عمر بن الخطاب فقال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ: ((إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم))[1].

وهنا نلاحظ أن الرسول ﷺ قد ضرب أروع خلق، وأعظم سلوك، وهو التثبت وعدم العجلة على الرغم من أن الموقف كان في غاية الحرج، وعلى الرغم من بيان الأمر، واتضاح دليل ما فعله حاطب وهو واحد من أصحابه -رضي الله عنهم أجمعين- وقد كان الخطأ جسيما لأنه يدخل في باب الخيانة العظمى للدولة، إلا أن الرسول ﷺ ركن إلى خلق أصيل من الأخلاق التي حث عليها القرآن، وهو التثبت من أمر صاحبه، وإذ به ﷺ يبحث في الأمر، بعد أن يستدعي ويحقق معه، ليتعرف على الملابسات التي حملته على هذا الفعل، ويبني حكمه على ذلك كله، ويرفض ما هم به صاحبه الكبير عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقبل ذلك يقرر الباحث أن التبين والتثبت، خلق إسلامي عظيم، حث عليه الله سبحانه في محكم كتابه، وتخلق الرسول الكريم ﷺ بالقرآن حتى صار له منهجاً في حياته، ولهذا قالت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما عندما سُئلت عن أخلاق النبي ﷺ: **(يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ. قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن)**[2].

وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في خلق التبين، والتثبت في قضايا كثيرة جداً ومنها قضية الصحابي ماعز بن مالك رضي الله عنه عندما ارتكب كبيرة الزنا فتبين له ﷺ أن الواقعة قد حدثت بعد قول الصحابي رضي الله عنه أنه زنا، وأنه يريد التطهير، عندها بدأ الرسول ﷺ في التثبت، ولم يكتف

---

(١) انظر: البغوي: **معالم التنزيل**، ج٨، ص٩٢،٩٣، والقصة أخرجها الإمام البخاري في جامعه صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، رقم الحديث: (٣٠٠٧)، ص٥٣٩.

(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، حديث رقم: (٧٤٦)، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٣٠٠.

ببيان الصحابي ﷺ، فقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: «لما أتى ماعز بن مالك النبي ﷺ قال له: ((**لعلك قبلت، أو غمزت، أو نظرت. قال: لا يا رسول الله، قال: أنكتها**)) -لا يكنى - قال: فعند ذلك أمر برجمه»[(١)].

يقول ابن العثيمين: «(لعل) هنا للتوقع؛ يعني: أتوقع أنك فعلت كذا وكذا، (قبلت) أي: قبلت المرأة فظننت أن التقبيل زنا، والتقبيل زنا لا شك، لكنه ليس الزنا الذي يوجد الحد، (أو غمزت) أي: غمزت المرأة بيدك، الثالثة: (أو نظرت)، والنظر زنا العين، فقال ما عز: (لا يا رسول الله)، وإنما ذكر النبي ﷺ هذا له من أجل أن يتثبت هل إقراره إقرار عن يقين وعن تعقل، أو إقراره عن معرفة، فلهذا سأله النبي ﷺ هذه الأسئلة، وسأله أيضاً أسئلة أخرى، فقال له: (أنكتها؟) قال: نعم، قال: ((**كما يغيب الميل في المكحلة والرشا في البئر؟**)) قال: نعم، ولم يكن هناك حاجة إلى مثل هذه الأشياء، لكن أراد النبي ﷺ أن يستنتج من هذا الرجل أنه عاقل وليس به جنون»[(٢)].

وقول الشيخ العثيمين «ولم يكن هناك حاجة إلى مثل هذه الأشياء» لا يعني عدم التثبت من النبأ، ولكن تعني أن الإقرار أعلى مراتب الثبات، ولهذا قال العثيمين: «لكن أراد النبي ﷺ أن يستنتج من هذا الرجل أنه عاقل وليس به جنون».

وفي هذا توجيه عظيم لكل ولي أمر وحاكم في أن يتثبت من الأمور حتى لا يقضي بما ظهر من دليل دون أن يتثبت فتضيع الحقوق وتزهق الأرواح.

---

(١) **صحيح البخاري**، كتاب الحدود، باب هل يقول الإمام للمقر: لعلك لمست أو غمزت؟، رقم الحديث: (٦٨٢٤)، ص١٢٥٩.

(٢) العثيمين، محمد بن صالح: **فتح ذي الجلال والاكرام بشرح بلوغ المرام**، تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، وأم إسراء بنت عرفه بيومي، القاهرة، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، ج٥، ص٣٤٦.

ويعلق العثيمين على مما يستفاد من هذا الحديث، فيقول: «أنه يجب على الإمام عند التردد أن يتثبت، لا سيما في هذا الأمر العظيم الذي يستوجب إزهاق النفس، ويوجب العار على الفاعل، فإن الواجب التثبت»[(١)].

ويبقى أن تبين الأمور في المجال الأخلاقي فضيلة من الفضائل التي دعا إليها القرآن الكريم، وهدى لها الإسلام الحنيف، لأنها تؤدي إلى أن يسير الإنسان على بصيرة، وأن يكون السلوك باستقامة، والتصرف بحكمة، وبالتالي يكون الحكم على الأمور بقسط، بعيدا عن التهور والاندفاع الذي يورث الندم، وشأن المؤمن أنه كيس فطن، وأنه لا يلدغ من جحره مرتين، وانه يقدر لرجله قبل الخطو موضعها، كما عبر القائل الحكيم، ولقد طالب القرآن الكريم بالتبين في الأمور حين قال في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [سورة النساء:٩٤][(٢)].

أما عبارة "بوسيلة مخصوصة" فالمقصود بها أن التثبت يكون بأدوات، وبوسائل عدة، لكن كل حالة لها وسيلة أو وسائل مخصوصة تناسبها، واختيار الوسيلة يخضع لاعتبارات شرعية، لا يمكن تجاوزها إلا في حال الضرورة، وبعد الموازنة بين المفاسد المتحقق وقوعها بحيث يتم اختيار أخفها.

التبين والتثبت في القرآن الكريم:

أولاً: التبين:

ورد ذكر التبين، ومشتقاته في القرآن الكريم مثل: (تبين، يبين، البينات، بينا، بينوا، مبين، بينة، بيان) في مواطن متعددة منها ما يأتي:

---

(١) العثيمين: **فتح ذي الجلال والاكرام بشرح بلوغ المرام**، ج٥، ص٣٤٦.

(٢) انظر: الشرباصي: **موسوعة أخلاق القرآن**، ج٣، ص١٦.

١. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة:٢٥٩].

٢. قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٤٢].

٣. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران:١٠٥].

٤. قال تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة آل عمران:١١٨].

٥. قال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ [سورة البقرة:١٦٠].

٦. قال الله: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة آل عمران:١٦٤].

٧. قال تعالى: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ﴾ [سورة البقرة:٢١١].

٨. قال سبحانه: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:١٣٨].

ثانياً: التثبت:

ورد ذكر التثبت، ومشتقاته في القرآن الكريم مثل: (يثبت، ثبت، فثبتوا، ليثبتوك، ثابت، ثبوتها، ثبتناك، لنثبت) في مواطن متعددة منها ما يأتي:

١. قال تعالى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [سورة الأنفال:١١].

٢. قال سبحانه: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٠].

٣. قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأنفال:٤٥].

٤. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ﴾ [سورة الأنفال:٣٠].

٥. قال سبحانه: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة إبراهيم:٢٤].

٦. قال الله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [سورة النحل:٩٤].

٧. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء:٧٤].

٨. قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [سورة الفرقان:٣٢].

وبالنظر في القرآن الكريم نلاحظ أن التبين باشتقاقاته قد ورد أكثر من التثبت باشتقاقاته، وهذا يرجع إلى أن الأمور التي يكتفي فيها بالتبين أكثر من الأمور التي نحتاج فيها إلى التثبت، كما أنه توجد مفردات تؤدي معنى التثبت أو معنى قريباً منه، مثل مفردة اليقين، وقد وردت بمشتقاتها في آيات قرآنية كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة البقرة:١١٨].

أقوال العلماء في الفرق بين التبين والتثبت:

للعلماء، والباحثين أقوال في الفرق بين التبين والتثبت، ويدور الحديث حول كلمة (فتبينوا)، (فتثبتوا)، فقد الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [سورة الحجرات:٦]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [سورة النساء:٩٤].

يقول مكي بن أبي طالب: «قوله: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ قرأ حمزة والكسائي بالثاء، من التثبت في موضعين، في هذه السورة وفي موضع في الحجرات. وقرأ الباقون بالياء، من التبين. وحجة من قرأ بالثاء، أنه لما كان معنى الآية الحض للمؤمنين على التأني، وترك الإقدام على القتل، دون تثبت وتبين، أتى بالتثبت، لأنه خلاف الإقدام، والتثبت أفسح للمأمور من التبين لأن كل من أراد أن يتثبت قدر على ذلك، وليس كل من أراد أن يتبين قدر على ذلك، لأنه قد يتبين، ولا يتبين له ما أراد بيانه. وحجة من قرأ بالياء، من البيان، أنه لما كان معنى الآية: افحصوا عن أمر من لقيتموه، واكشفوا عن حاله قبل أن تبطشوا بقتله، حتى يتبين لكم حقيقة ما هو عليه من الدين حمل على التبين، لأنه به يظهر الأمر، وأيضاً فإن التبين يعم التثبت، لأن كل من تبين أمراً فليس يتبينه، إلا بعد تثبت، ظهر له ذلك الأمر أو لم يظهر له، لابد من التثبت مع التبين، ففي التبين معنى التثبت، وليس كل من تثبت في أمر تبينه.

إذ قد يتثبت ولا يتبين له الأمر، فالتبين أعم من التثبت في المعنى لاشتماله على التثبت، وقد جاء عن الحسن مرسلاً: ((**التبين من الله والعجلة من الشيطان، فتبينوا**))[(١)]. واختيار القراءة بالياء لعموم لفظها، ولأن أكثر القراء عليها، ولأن بها قرأ أبو عبد الرحمن والحسن وأبو جعفر وشيبة والأعرج وقتادة وابن جبير، وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيد. وقرأ ابن مسعود وابن وثاب وطلحة والأعمش وعيسى بالثاء، وهو اختيار الطبري»[(٢)].

---

(١) الخرائطي، محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر: **مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها**، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٢٢٨.

(٢) القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب: **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق: محي الدين رمضان، دمشق، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ج١، ص٣٩٤،٣٩٥.

وبالنظر في قول مكي بن أبي طالب، وتتبع ما أورده العلماء يتضح لنا في الفرق بين التبين والتثبت ثلاثة أقوال، يذكرها الباحث فيما يأتي:

القول الأول: الكلمتان مترادفتان أو متقاربتان

يقول الطبري: «والقولُ عندنا في ذلك أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة المسلمين بمعنى واحد، وإن اختلفت بهما الألفاظ. لأن "المتثبت" متبيّن، و"المتبيِّن" متثبِّت، فبأي القراءتين قرأ القارئ، فمصيبٌ صوابَ القراءة في ذلك»(١).

وقال الرازي: «(فتثبتوا) من ثبت ثباتاً، والباقون بالنون من البيان، والمعنيان متقاربان»(٢).

وذكر السمرقندي: «فمن قرأ بالثاء فهو من التثبت يقول: قفوا ولا تعجلوا في الأمر حتى يتبين لكم الكافر من المسلم. ومن قرأ بالياء فهو من التبين، ومعناهما قريب»(٣).

وجاء عند الشنقيطي: «ومعنى القراءتين واحد، وهو الأمر بالتأني وعدم العجلة حتى تظهر الحقيقة فيما أنبأ به الفاسق»(٤).

ويقول القطان في تفسيره: «والفعلان قريبان من بعض»(٥).

---

(١) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٩، ص٨١.

(٢) الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج١١، ص١٨٩.

(٣) السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم: **بحر العلوم (تفسير السمرقندي)**، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، زكريا عبد المجيد النوتي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج١، ص٣٧٨.

(٤) الشنقيطي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج٧، ص٤١١.

(٥) القطان، إبراهيم: **تيسير التفسير**، مراجعة وضبط: عمران أحمد أبو جمله، عمّان، طبعه خاصة لها نسخ في عدة جامعات منها جامعة آل البيت في الأردن، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج٤، ص١٨١.

ويرى محمد أحمد أن «التبين الوارد في الآيات، هو التثبت»[١].

القول الثاني: مختلفتان والتثبت يسبق التبين

فقد قرر الإمام ابن عطية أنه: « قد يتثبت من لا يتبين»[٢].

وقال الجصاص: « (فتثبتوا) قرأ بالياء والنون، وقيل إن الاختيار التبين لأن التثبت إنما هو التبين، والتثبت إنما هو سبب له»[٣].

يقول السعدي: «التثبت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه، فيتثبت فيها العبد، حتى يتضح له الأمر ويتبين الرشد والصواب»[٤].

ويرى وردات أن «التثبّت أخص والتبيّن أعم، ووجه العموم والخصوص من حيث إنّ التثبّت طريق التّبيّن»[٥].

القول الثالث: مختلفتان والتبين يسبق التثبت

عبارة البيضاوي تفيد أن التبين يسبق التثبت، حيث قال في تفسير الآية: « (فتبينوا) فاطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه»[٦].

ويرى الطاهر بن عاشور أن «التبيّن: تطلب البيان وهو ظهور الأمر، والتثبت التحري وتطلب الثبات وهو الصدق»[٧].

---

(١) أحمد: **التثبت في القرآن الكريم**، ص١٥.

(٢) ابن عطية الأندلسي، أبي محمد عبد الحق بن غالب: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج٢، ص٩٦.

(٣) الجصاص: **أحكام القرآن**، ج٢، ص٣١٢.

(٤) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص١٩٤.

(٥) وردات: **منهج القرآن في التثبت**، ص٤٨.

(٦) البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص٩١.

(٧) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٢٦، ص٢٣١.

ويرى مجموعة من علماء الأزهر الشريف أن الكلمتين وإن اختلف لفظاهما، فإن بين معنييهما علاقة وثيقة، تشبه علاقة ضوء الشمس بقرصها: لأن التبين، وهو المصدر من (فتبينوا) هو التفحص والتعقب في الخبر الذي يذيعه الفاسق بين الناس، وهذا البيان هو الطريق الموصل للتثبت. فالتثبت هو ثمرة التبين، ومن تبيَّن فقد تثبت، ومن تثبت فقد تبين[1].

ما يترجح للباحث في الفرق بين التبين والتثبت:

بعد تعريف التبين والتثبت لغةً واصطلاحاً، وبيان أقوال العلماء في الفرق بينهما، يترجح للباحث القول الثالث من الأقوال، وهو أن التبين يسبق التثبت، فالتبين بداية الظهور والوضوح وهو الشاهد الذي يؤدي إلى التثبت، وهو القطع واليقين والثبات، ذلك أن الأمر قد يبين ويظهر، ولكن ليس شرطاً أن يثبت، فهذا يحتاج إلى تحقيق وبحث، **وترجيح الباحث لهذا القول يستند لعدة دلالات، ومنها ما يأتي:**

١. المعنى اللغوي:

من خلال المعنى اللغوي التبين يسبق التثبت بدلالة المعاني، فقد ذكر التبين ووصف بالظهور، والدلالة، والشاهد، والبيان، وهذا كله يحتاج إلى التثبت أي التحقيق والبحث في هذا الظهور، وهذه الدلالات لا تصل لليقين إلا بالتثبت.

٢. ارتباط التثبت باليقين:

إن ارتباط التثبت باليقين، ارتباط لا انفكاك فيه، وهو يؤكد أن التثبت مرحلة لا يوجد بعدها مرحلة، لثبوت الأمر واستقراره، فقد قال تعالى: ﴿**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ**

(١) انظر: مجموعة من مشايخ الأزهر: **حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المسلمين**، إشراف وتقديم (وزير الأوقاف المصرية): محمود حمدي زقزوق، القاهرة، وزارة الأوقاف (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية)، د.ط، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٤٨، ٤٩.

﴿بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [سورة النمل:٢٢] «أي: بخبر صدق حق يقين»[١]، بمعنى أن الخبر والبيان وصل إلى آخر مرحلة في التثبت، وهو اليقين.

يقول ابن عاشور: «ووصفه بـ (يقين) تحقيق لكون ما سيلقى إليه شيء محقق لا شبهة فيه، فوصف بالمصدر للمبالغة»[٢].

ويقول الراغب: «اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال: علم يقين، ولا يقال معرفة يقين، وهو سكون النفس مع ثبات الحكم»[٣].

ويعلق الألوسي على الراغب، فيقول: «الأول عدم الشك فيطلق على كل ما لا شك فيه سواء حصل بنظر أو حس أو غريزة عقل أو بتواتر أو دليل، هذا لا يتفاوت»[٤].

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ [سورة الأنعام:٥٧]؛ أي «على حجة واضحة من مغفرة ربي، وأنه لا معبود سواه... يقال: أنا على بينة من هذا الأمر وأنا على يقين منه إذا كان ثابتاً عنده بدليل»[٥].

فالبينة هي الحجة الواضحة وشاهد الصدق الذي يفصل بين الحق والباطل، والمراد بها هنا القرآن والوحي[٦].

---

(١) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج٦، ص١٨٦.

(٢) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج١٩، ص٢٥٢.

(٣) الراغب: **المفردات في غريب القرآن**، ص٥٥٣.

(٤) الألوسي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج١، ص١٢٥.

(٥) النيسابوري: **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج٣، ص٨٩.

(٦) انظر: البروسوي: إسماعيل حقي بن مصطفى: **روح البيان**، بيروت، دار الفكر، د.ط.، د.ت، ج٣، ص٤٠، ٤١.

والله تعالى يقول: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة البقرة:١١٨]، أي: «قد وضحنا الدلالات على صدق الرسل بما لا يحتاج معها إلى سؤال آخر وزيادة أخرى، لمن أيقن»[١].

ويضيف الطبري إلى ذلك معنى دقيقا في تفسيره فيقول: «وخص الله بذلك القوم الذين يوقنون، لأنهم أهل التثبت في الأمور، والطالبون معرفة حقائق الأشياء على يقين وصحة»[٢].

وقد جرى الخازن على منواله فقال: «يعني أن آيات القرآن وما جاء به محمد ﷺ من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالباً لليقين، وإنما خص أهل الإيقان بالذكر لأنهم هم أهل التثبت في الأمور، ومعرفة الأشياء على يقين»[٣].

وقد ورد أن عمر رضي الله عنه (قاس على خبر من الأخبار حين قضى في دية الأصابع، في الإبهام بخمس عشر، وفي كل من السبابة والوسطى بعشر وفي التي تلي الخنصر بتسع وفي الخنصر بست)، ولقد رأى أن النبي ﷺ، قضى في اليد بخمسين، ففرقها على الأصابع بأقدار مختلفة لأنها مختلفة؛ ولكن وجد كتاب عمرو بن حزم، **وثبت أنه كتاب رسول الله** ﷺ، وفيه: "وفي كل إصبع مما هنالك عشر من الإبل"؛ فصاروا إليه، وترك قول عمر رضي الله عنه[٤].

---

(١) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج١، ص٤٠٠.

(٢) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٥٥٧.

(٣) الخازن: **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج١، ص٧٤.

(٤) عبد المطلب، رفعت فوزي: **توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته**، مصر، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٩٧.

فعندما تبينوا من وجود كتاب عمرو بن حزم وهو شاهد ودليل لم يكتفوا بذلك، بل ثبت (أي تثبتوا) أنه للرسول ﷺ، فتركوا اجتهاد عمر رضي الله عنه، واخذوا بقول الرسول ﷺ بعد أن تبينوا أن هناك كتابا له، وتثبتوا من ذلك.

وقد جاء في تذكرة الحفاظ عدة نصوص تفيد مدى الحرص على التثبت في مجال الأحاديث المروية عن النبي ﷺ، وعدم إجراء الأحكام قبل هذا التثبت، ومنها ما يأتي[1]:

- عن رجاء بن أبي سلمة قال: بلغني أن معاوية كان يقول: عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر رضي الله عنه فإنه كان قد أخاف الناس في الحديث عن رسول الله ﷺ.
- روى هشام عن أبيه عن المغيرة بن شعبة أن عمر استشارهم في أملاص المرأة يعني السقط فقال له المغيرة: قضى فيه رسول الله ﷺ بغرة، فقال له عمر: إن كنت صادقا فأت بأحد يعلم ذلك. قال: فشهد محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ قضى به.
- روى صفوان بن عيسى أن محمد بن عمارة عن عبد الله بن أبي بكر قال: كان للعباس بيت في قبلة المسجد فضاق المسجد على الناس فطلب إليه عمر البيع فأبى، فذكر الحديث وفيه فقال عمر لأبي: لتأتيني على ما تقول ببينة فخرجا فإذا ناس من الأنصار، قال: فذكر لهم، قالوا: قد سمعنا هذا من رسول الله ﷺ فقال عمر: أما إني لم أتهمك ولكني أحببت أن أتثبت».

وعليه يترجح لدى الباحث أن هناك فرقاً بين التبين والتثبت يتجلى فيما يأتي:

١. التبين مرحلة متقدمة على التثبت، ومن تثبت فقد تبين.
٢. التبين هو ظهور الحقيقة، والتثبت هو الإحاطة بأدلتها وملابساتها.
٣. هدف التثبت هو الوقوف على أدلة الأمر ودوافعه وملابساته.
٤. الأمر يستقر بالتثبت حيث يصل إلى درجة اليقين.

---

(١) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز: **تذكرة الحفاظ**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج١، ص١٢.

٥. اتخاذ الإجراءات العملية وإصدار الأحكام لا يكون إلا بعد التثبت.

وبالمثال يتضح المقال: ففي قصة حاطب بن أبي بلتعة حصل التبين بمجرد نزول جبريل وإخباره للرسول ﷺ بما فعله حاطب.

ثم كان التثبت الذي تم من خلال ما يأتي:

١. بعث رسول الله ﷺ عليًا وعمارًا والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد كي يلحقوا بالمرأة ويأخذوا الكتاب منها.
٢. أرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب، فأتاه واعترف بفعلته وبين الأسباب التي دفعته للإقدام عليها، فصدقه رسول الله ﷺ وعذره.

ونلاحظ أن الرسول ﷺ قد رفض اقتراح عمر بقتل حاطب، واتهامه له بالنفاق، ورد عليه قائلا: "وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم".

كما نلاحظ أنه ﷺ قد حدد للصحابة الذين أرسلهم لاسترجاع الكتاب الخيارات المتاحة لهم في سبيل استرجاعه، حيث قال لهم: ((**انطلقوا حتى تأتوا "روضة خاخ" فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فخذوا منها، وخلوا سبيلها، وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها**))[(١)].

ثم إن المجموعة المكلفة بالمهمة لم تقصر في اتخاذ كل السبل المتاحة حتى ولو كانت غير مشروعة، والتي تمثلت في تجريد المرأة أو قتلها؛ لأن المفسدة المترتبة على وصول الكتاب إلى الأعداء كانت أعظم من مفسدة تجريدها من ملابسها أو قتلها.

---

(١) انظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج٨، ص٩٢،٩٣، والقصة أخرجها الإمام البخاري في جامعه صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، رقم الحديث: (٣٠٠٧)، ص٥٣٩؛ وقد مرت في ص٣٦-٣٨.

المطلب الثاني: أهمية التبين والتثبت:

إن للتبين والتثبت أهمية عظمى على كل الأصعدة والمجالات، وبالأخص في تداول المعلومات بحكم سرعة انتشارها، وخطورة هذا الانتشار على الدين، والمجتمعات، والأوطان.

وعليه سيحاول الباحث ذكر بعض ما يحمله خلق التبين، والتثبت من أهمية قصوى في تداول المعلومات.

أهمية التبين والتثبت في الجانبي الديني:

إن تداول المعلومات، وانتشارها دون تبين وتثبت يلحق الضرر بمستويات عدة، ولا شك أن الجانب الديني يأخذ حيزاً مهماً جداً في هذا الأمر، فقد يلبس الحق بالباطل سواء كان هذا بجهل أو بتجاهل، ويتأثر بهذا الجميع خصوصاً عوام الناس، إذ «من شأن العوام القعود عند القاص، ما كان حديثه عجيباً خارجاً عن فطر العقول، أو كان رقيقاً يحزن القلوب ويستغزر العيون»[1]، فلهذا يجب التبين والتثبت من خلال أمور كثيرة ومنها ما يأتي:

١. معرفة حال ناقل المعلومة، وهذا أمر طبيعي خصوصا في أمة الإسلام التي اختصت، بعلم الرجال أو ما يسمى علم الجرح والتعديل، وهو العلم الذي قام عليه رجال مخلصون يتبينون، ويتثبتون من حال وأوصاف ناقل الحديث، وذلك لمعرفة السمين من الهزيل، والسقيم من السليم، ولعلهم انطلقوا في ذلك من قول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [سورة الحجرات:٦].

فقد فهمت الأمة من هذه الآية أن من الآداب التي على أولي الألباب التأدب بها واستعمالها، أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردًا، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب

(١) بن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم: **تأويل مختلف الحديث**: بيروت، المكتب الإسلامي، الدوحة، مؤسسة الإشراق، ط٢، ١٤١٩/١٩٩٩م، ص٤٠٤.

ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال، بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة، ولهذا كان من الواجب أن نتبين خبر الفاسق ونتثبت منه، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به[1].

وقد سار أهل السنة والجماعة سيرة دقيقة في قبول الحديث وفي تعديل الرجال ووصل الأمر إلى حد عدم قبول رواية من كذب ولو مرة واحدة، أو من فعل أمراً يعد من خوارم المروءة في عصرهم، كالأكل في الشارع.

ومن المسلمات في هذا الباب أن الذين وقع في حديثهم الموضوع والكذب والمقلوب لم يخرجوا عن الأقسام الخمسة الآتية:

الأول: قوم غلب عليهم الزهد والتقشف، فغفلوا عن الحفظ والتمييز، ومنهم من ضاعت كتبه، أو احترقت، أو دفنها، ثم حدث من حفظه فغلط، فهؤلاء تارة يرفعون المرسل، ويسندون الموقوف، وتارة يقلبون الإسناد، وتارة يدخلون حديثاً في حديث.

الثاني: قوم لم يتعبوا أنفسهم في علم النقل، فكثر خطؤهم وفحشهم.

الثالث: قوم ثقات لكنهم اختلطت عقولهم في أواخر أعمارهم فخلطوا في الرواية.

الرابع: قوم غلب عليهم الغفلة، ثم انقسم هؤلاء قسمين.

الخامس: قوم تعمدوا الكذب[2].

٢. تداول المعلومات على نحو يطعن في أهل العلم دون تبين أو تثبت ينفر الناس منهم، أو يوقع البغضاء بينهم، ويتجلى ذلك في النماذج الآتية:

---

(١) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٧٩٩.

(٢) انظر: الدومي، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن بدران: **مقدمة في مصطلح الحديث**، اعتنى بها: نورالدين طالب، الرياض، دار أطلس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٤٩،٥٠.

أ. يتم نشر مقطع يستدل به على أن العالم الفلاني قد جرح العالم الآخر، وعند التبين والتثبت يتضح أن العالم قد سئل سؤالاً ما في قضية معينة بعيدة كل البعد عن العالم الآخر، كسؤال ما رأيك يا شيخ فيمن يقول كذا وكذا؟ فيأتي جواب الشيخ عاماً بعيداً كل البعد عن العالم الآخر الذي يرى خلاف ذلك في ظروف ومواقف معينة لم يتطرق لها السائل، فيتم تداول المعلومات التي تفيد أن العالم الفلاني يفسق ويبدع داعية أو عالم، وهذا ليس بصحيح، الأمر الذي يترتب عليه إيذاء توعد الله تعالى فاعليه في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٨]، أي: «ينسبون إليهم ما هم بُرَآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه، ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ وهذا هو البهت البين أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه، على سبيل العيب والتنقص لهم، ومَنْ أكثر مَنْ يدخل في هذا الوعيد الكفرةُ بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد بَرَّأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم؛ فإن الله عز وجل، قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم، ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدا، فهم في الحقيقة منكوسو القلوب يذمون الممدوحين، ويمدحون المذمومين»[(١)].

ب. قد يذكر العالم في خطبة أو محاضرة قضية ما، أو يفتي بمسألة، فيحملها السامع على ما يفهم لا على ما يقصد العالم، فينقل عنه ويشهر به على نحو قد يتسبب في إيذائه أو في تنفير الناس منه، مع أنه لو تبين من العالم يمكن أن يقف على حقيقة الأمر.

إن المسلم مأمور إن سمع سوءاً صريحاً ألا يشيعه وينشره، فما بالنا إن كان ما سمعه ليس صريحاً ويحتاج إلى التبين والتثبت، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ

(١) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج٦، ص٤٨١.

﴿ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النور:١٩].

يقول ابن كثيرها في تفسيرها: «وهذا تأديب لمن سمع شيئا من الكلام السيئ، فقام بذهنه منه شيء، وتكلم به، فلا يكثر منه ويشيعه ويذيعه، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بالحد، وفي ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالعذاب، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: فردوا الأمور إليه تَرْشُدُوا»[(١)].

فحفاظاً على الدين، يجب علينا أن نتبين ونتثبت قبل الخوض في العلماء، ويكفينا في هذا المقام قول الإمام ابن عساكر: «اعلم يا أخي وفقك الله تعالى وإيانا لمرضاته، وجعلنا ممن يتقيه ويخشاه حق تقاته، أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق على من اختاره الله لنعش العلم خلق ذميم، والاقتداء بما مدح الله به قول المتبعين من الاستغفار لمن سبقهم وصف كريم، إذ قال مثنياً عليهم في كتابه وهو بمكارم الاخلاق وصدها عليم ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحشر:١٠]»[(٢)].

ويكفي أن الخوض فيما لا علم للإنسان به يدخل في دائرة المنكرات العظيمة سواء تعلق بالخلق أو الخالق، فقد أنكر الله تعالى على الناس أن يقولوا عليه ما لا يعلمون فقال:

---

(١) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**: ج٦، ص٢٩.

(٢) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله: **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ط٣، ص٢٩.

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف:٢٨]، «وقد أجمع العلماء على أن ما لم يتبين ويتيقن فليس بعلم، وإنما هو ظن، والظن لا يغني من الحق شيئاً»[١].

أهمية التبين والتثبت في الجانبي الاجتماعي:

إن تداول المعلومات دون تبين وتثبت يضر بالمجتمعات، ويضعف ترابطها، وتآزرها، بل يجعلها هشة وضعيفة، وبعيدة كل البعد عن رضا الله تعالى، ومحبته، وبالتبين والتثبت يطهر المجتمع من كثير من الأمراض والمفاسد، لأنهما يؤديان الحماية من الوقوع في ظلم الناس، واتهامهم في أعراضهم وأموالهم، لأن تناقل المعلومات دون وعي وتدقيق قد يوقع بين الأرحام والأصدقاء البغضاء، ويؤدي إلى ظلم بعضهم البعض، ولهذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة الحجرات:١٢]، ففي الآية ينهى الله تعالى «عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً، فليجتنب كثير منه احتياطاً، وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ﷺ، أنه قال: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيرا، وأنت تجد لها في الخير محملا»[٢].

ولا شك أن الظن مخالف للتبين والتثبت، وكأني بالله تعالى يقول: إن ظننت فلا تظن إلا خيراً أو أمسك، فبكلمتك التي تخرج منك، ويتداولها الناس قد تظلم بها شخصاً أو فئة، بقصد أو من دون قصد، وهذا هو سر قول الرسول ﷺ: ((**إِنَّ العبد ليتكلّم بالكلمة –مِنْ**

(١) الشنقيطي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج٧، ص٣١٦.

(٢) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج٧، ص٣٧٧.

رضوان الله– لا يُلْقِي لها بالاً، يرفعه الله بها في الجنة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة –من سَخَط الله– لا يُلْقِي لها بالاً، يهوي بها في جهنم))[1].

وقد خصص البخاري في كتاب الرقاق باباً فيما يكره من القيل والقال[2]، ولهذا يجب على الإنسان إن تكلم أن يتكلم بالقول السديد البعيد عن الظلم، والموثق بالعلم، يقول السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [سورة الأحزاب:٧٠]، «الصواب، في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق يوصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه. ومن القول السديد، لين الكلام ولطفه، في مخاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح والإشارة، بما هو الأصلح»[3].

وكم من كلمة كانت شرارتها من جهل لا يضبط الأمور، أو نفس مضطربة تريد أن توقع بين الناس، أو من نمام يستغل عدم تبين الناس وتثبتهم مما ينقله إليهم، ولهذا كله كانت عاقبة المعلومات السلبية المتداولة عن الخلق وخيمة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال الرسول ﷺ: **((أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، فقيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ فقال: إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه، فقد بهته))**[4].

وأنبه إلى أن بعض أوجه تداول المعلومات السلبية قد يكون مباحا، وقد ذكره أهل العلم تحت باب النميمة النافعة، قال ابن كثير في تفسيره وقال: «النميمة على قسمين، تارة تكون على وجه التحريش [بين الناس] وتفريق قلوب المؤمنين، فهذا حرام متفق عليه. فأما إذا كانت على وجه الإصلاح [بين الناس]، وائتلاف كلمة المسلمين، كما جاء في الحديث:

---

(١) **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، حديث رقم: (٦٤٧٨)، ص١٢٠٣.

(٢) **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب ما يكره من قيل وقال، ص١٢٠٢.

(٣) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٦٧٣.

(٤) **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، حديث رقم: (٢٥٨٩)، ص١١٢٣.

((**ليس بالكذاب من يَنمّ خيرًا**))[1]، أو يكون على وجه التخذيل والتفريق بين جموع الكفرة، فهذا أمر مطلوب، كما جاء في الحديث: ((**الحرب خدعة**))[2]، وكما فعل نعيم بن مسعود في تفريقه بين كلمة الأحزاب وبين قريظة، وجاء إلى هؤلاء فنمى إليهم عن هؤلاء كلامًا، ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئًا آخر، ثم لأم بين ذلك، فتناكرت النفوس وافترقت. وإنما يحذو على مثل هذا الذكاء والبصيرة النافذة» [3].

ويقول الغزالي: «اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا، وليست النميمة مختصة به. بل حدها كشف ما يكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه، أو كرهه ثالث. وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية، كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له، فأما إذا رآه يخفي مالاً لنفسه فذكره هو نميمة وإفشاء للسر، فإن كان ما ينم به نقصاً وعيباً في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة، فالباعث على النميمة إما إرادة السوء للمحكي عنه أو إظهار الحب للمحكي له، أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل» [4].

ولا شك أيضاً أن النميمة قد تشعل بها النار سريعاً دون تروي فتصيب قوماً بجهالة كما في قول الله تعالى: ﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ [سورة الحجرات:٦]، يقول ابن عاشور: «كان مما يصدق عليه إصابة قوم أن تقع الإصابة بين طائفتين من المؤمنين؛ لأن من الأخبار

---

(١) **صحيح البخاري**، كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، حديث رقم: (٢٦٩٢)، ص٤٧٧.

(٢) **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، حديث رقم: (٣٠٣٠)، ص٥٤٣.

(٣) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج١، ص٣٧١.

(٤) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: **إحياء علوم الدين**، بيروت، دار المعرفة، د.ط، د.ت، ج٣، ص١٥٦.

الكاذبة أخبار النميمة بين القبائل وخطرها أكبر مما يجري بين الأفراد، والتبين فيها أعسر، وقد لا يحصل التبيّن إلا بعد أن تستعر نار الفتنة ولا تجدي الندامة»[1].

وبهذا يتضح أن للتبين والتثبت أثر عظيم في إصلاح الجانب الاجتماعي، وفي تفادي سلبيات تفت في عضد المجتمع، وتشيع فيه البغضاء والتناحر.

أهمية التبين والتثبت في الجانب الأمني:

إن تداول المعلومات، وانتشارها دون تبين وتثبت يضر أمن الأوطان واستقرارها بل يشيع الفوضى، والبغضاء بين أفراد المجتمع، أو بين الناس وولي أمرهم، وهو بالإضافة إلى ذلك يكلف الدولة الوقت، والأموال الطائلة للتحقيق والبحث لكي يتم التثبت من هذه المعلومات، ومصدرها، والأهداف المتوخاة من تداولها، ويشغل الأجهزة المعنية عن متابعة أمور جسام تصب في صالح البلاد والعباد، أو تدفع عنهم ضرراً ماحقا في عاجل الوقت أو آجله.

لقد أثبتت وقائع كثيرة أن بعض الجهات الخارجية أو الداخلية تعمل على بث وتداول بعض المعلومات الصحيحة أو غير الصحيحة، تحقيقاً لأجندات ومصالح خاصة أو بهدف التحريض، وهو: «الحث على ارتكاب الجريمة وإيجاد فكرة الجريمة في ذهن الجاني والتشجيع عليها بشكل يهيج شعور الفاعل ويدفعه إلى ارتكاب الجريمة، سواء كان التحريض صريحاً أو ضمنياً مباشراً أو غير مباشر فردياً أو جماعياً»[2]، وسنضرب أمثلة على هذا التحريض ومنها:

١. **التحريض على ولي الأمر المسلم، وتهييج الناس عليه،** بتداول معلومات يقصد منها إشاعة الفوضى، والكراهية، كالمطالبة بحقوق منقوصة علانياً، والتشهير المتعمد، سواء كان هذا حقيقاً، أو كذباً، وبهتاناً كما حدث للصحابي الجليل الشهيد المبشر بالجنة

---

(١) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٢٦، ص ٢٣٨.

(٢) الهاجري: راشد بن رمزان آل طامي: **جريمة التحريض الالكترونية المخلة بأمن الدولة**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٢١٨.

ثالث الخلفاء الراشدين ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ وأرضاه عندما شهر به مجموعة من الأوباش، وحرضوا عليه الجهال، حيث أظهر «ابن سبأ بعض العقائد اليهودية، كالقول بالرجعة والوصي، وأن الإمامة تكون في بيت واحد، وغير ذلك. واستغل الأعراب، فأخذ يشع عندهم الأكاذيب مدعياً أن عثمان فعل كذا وكذا، وكتب كتباً مزورة –هو ومن معه– على الزبير، وعلي، وطلحة، وعائشة، وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ ويختمونها بأختامهم المزورة، كلها فيها الإنكار على عثمان والتذمر من سياسته، وفي السابق لا توجد أجهزة اتصالات حديثة كما هو الآن، والمتلقون أعراب تأتيهم هذه الأخبار فيقبلون ويصدقون، فصبأ إليه غير واحد من ذوي الشقاق والنفاق»[(١)].

٢. **تحريض الشباب للانخراط بمجموعات إرهابية بدعوى الجهاد،** وهذا التحريض يتم إلباسه لباس الدين، والدين منه براء، وكم رأينا من جماعات وأفراد يتداولون المعلومات الكاذبة، ومقاطع الفيديو المركبة لكي يغرروا بالشباب، وخاصة الشباب غير المحصن بالعلم الشرعي، ولهذا كان من الواجب التبين من القائل، فإن قالوا إن هذا البيان بيان العالم الفلاني فعليهم أن يتثبتوا فعلاً أنه هو القائل وأنه عالم رباني ثقة، وألا نجعل لنا متعالمين، ومحرضين، ونجعلهم بمثابة الكبار من أهل العلم، وهم أول من يتبرأ منا يوم القيامة، فقد قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [سورة البقرة:١٦٦].

وبهذا نكون قد بينا مفهوم تداول المعلومات وأهميته، ومفهوم كل من التبين والتثبت وأهميتهما في الجانب الديني والاجتماعي والأمني، وسيتكلم الباحث في الفصل الثاني عن مفهوم التجسس والتحسس وضوابطهما؛ نظراً لارتباطهما الوثيق بمسألة التبين والتثبت في تداول المعلومات.

---

(١) الخميس: عثمان بن محمد: **حقبة من التاريخ**، الكويت، مكتبة الإمام الذهبي، ط٥، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١١٧.

الفصل الثاني

التجسس والتحسس وضوابطهما في القرآن الكريم

ويشمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: مفهوم التجسس والتحسس:**

ويشتمل على مطلبين:

  - المطلب الأول: تعريف التجسس لغة واصطلاحاً.
  - المطلب الثاني: التحسس والفرق بينه وبين التجسس.

- **المبحث الثاني: حكم التجسس والتحسس وضوابطهما وأهدافهما.**

ويشتمل على مطلبين:

  - المطلب الأول: حكم التجسس والتحسس.
  - المطلب الثاني: ضوابط التجسس والتحسس وأهدافهما.

المبحث الأول

مفهوم التجسس والتحسس

المطلب الأول: تعريف التجسس لغة واصطلاحاً

التجسس لغةً:

مأخوذ من الجَسُّ، وهو اللَّمْسُ باليد، يقال: جَسَّه بيده يَجُسُّه جَسّاً، واجْتَسَّه أَي مَسَّه ولَمَسَه، والمِجَسَّةُ: الموضع الذي تقع عليه يده إذا جَسَّه، وجَسَّ الشخصَ بعينه: أَحَدَّ النظر إليه ليَسْتَبِينَه ويَسْتَثْبِتَه، والجَسُّ جَسُّ الخَبَرِ، ومنه التَجَسُّسُ، وجَسَّ الخَبَرَ وتَجَسَّسه: بحث عنه وفحَصَ... والجاسُوسُ العَيْنُ يَتَجَسَّسُ الأَخبار ثم يأْتي بها وقيل الجاسُوسُ الذي يَتَجَسَّس الأَخبار والجَسَّاسَةُ دابة في جزائر البحر تَجُسُّ الأَخبار وتأْتي بها الدجالَ[١].

والجَوَاسُّ من الإنسان: خمسٌ، وهي اليدان والعينان، والفم، والشمُّ، والسمع، الواحد: جاسّةٌ ويقال بالحاء: حاسّةٌ، والجميع: الحواسُّ، والعرب تقول: فلان ضيق المِجَسِّ إذا لم يكن واسع السَّرْبِ، وفلان واسع المِجَسِّ إذا كان واسع السَّرْبِ، رحيب الصدر، ويقال: إن في مَجَسِّكَ لضيقاً[٢].

ويقال جسست الأخبار وتجسستها، أي تفحصت عنها. ومنه الجاسوس. وحكي عن الخليل: الجواس: الحواس[٣].

والجساس: فعال من الجس، وكذلك فسر في التنزيل الحكيم، وهو المتجسس عن أخبار الناس، وعن عيوبهم[٤].

---

(١) انظر: ابن منظور الأندلسي: **لسان العرب**، مادة: (ج س س). والأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، مادة: (جس).

(٢) بتصرف: الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، مادة: (جس). والحسيني، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق: **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة: (جسس).

(٣) انظر: الجوهري: **الصحاح**، مادة: (جسس).

(٤) انظر: ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن: **الاشتقاق**، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣، د.ت، ص١٨٥.

التجسس اصطلاحاً:

لقد عرف العلماء التجسس بعدة تعاريف، ومنها ما يأتي:

قال ابن الاثير: «التجسس: التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر»[١].

وعرفه الأوزاعي بأنه «البحث عن الشيء»[٢].

أما الكفوي فعرفه بأنه «السؤال عن العورات من غيره»[٣].

وعرفه الشوكاني بأنه «البحث عما ينكتم عنك من عيوب المسلمين وعوراتهم»[٤].

وهو عند ابن عاشور «البحث بوسيلة خفيّة وهو مشتق من الجس، ومنه سمي الجاسوس. والتجسّس من المعاملة الخفية عن المتجسس عليه»[٥].

وفي موضع آخر عرفه بأنه «التطلّب مع اختفاء وتستر»[٦].

ويلاحظ أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين معاني التجسس في اللغة وتعريفاته عند أهل العلم، ويمكننا بعد هذه التعريفات القول بأن التجسس هو: **التتبع والبحث بوسيلة خفية عن أمر يراد الاطلاع عليه، بدافع مع اختلاف المقاصد.**

أما جملة "التتبع والبحث" فيقصد بها التحري والتنقيب، واقتفاء الأثر بهدف المعرفة، وقد ذكر الله تعالى التنقيب في قوله تعالى: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم**

---

(١) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، بيروت، المكتبة العلمية، د.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج١، ص٢٧٢.

(٢) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج٧، ص٣٧٩.

(٣) الكفوي: **الكليات**، ص٢٦٢.

(٤) الشوكاني: **فتح القدير**، ج٥، ص٧٦.

(٥) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٢٦، ص٢٥٣.

(٦) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج١٣، ص٤٥.

﴿بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [سورة ق:٣٦]، يقول الألوسي: «النقب بمعنى التفتيش، ومنه ﴿فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ وسمي بذلك لتفتيشه عن أحوال القوم وأسرارهم»[(١)].

وأعني بعبارة "بوسيلة خفية" أن يتم ذلك بالبحث التفتيش بطريقة لا يشعر بها أحد، وهذا أحد معاني قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [سورة التوبة:٤٨]، يقول ابن عاشور في تفسيرها: «و﴿وَقَلَّبُوا۟﴾ بتشديد اللام مضاعف قلب المخفف، والمضاعفة للدلالة على قوة الفعل. فيجوز أن يكون من قلَب الشيء إذا تأمل باطنه وظاهره ليطّلع على دقائق صفاته فتكون المبالغة راجعة إلى الكمّ أي كثرة التقليب، أي ترددوا آراءهم وأعملوا المكائد والحيل للإضرار بالنبي ﷺ والمسلمين.

ويجوز أن يكون ﴿وَقَلَّبُوا۟﴾ من قلب بمعنى فتّش وبحث، استعير التقليب للبحث والتفتيش لمشابهة التفتيش للتقليب في الإحاطة بحال الشيء كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ [سورة الكهف:٤٢] فيكون المعنى، أنّهم بحثوا وتجسَّسوا للاطّلاع على شأن المسلمين وإخبار العدوّ به»[(٢)].

وهو أيضاً معنى قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ [سورة الصافات:١٠]، يقول الرازي في تفسيره: «خطف الخطفة، أي اختلس الكلمة على وجه المسارقة»[(٣)].

ومعنى جملة «عن أمر يراد الاطلاع عليه»: أي عن أمر لا يعلمه ويخفى عليه، ولم يعلن عنه، ويسعى لإظهاره، وقد يكون هذا الخفي له أمارات أو من غير آيات.

وجملة «بدافع مع اختلاف المقاصد»: أي بباعث ومن حالاته:

---

(١) الألوسي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٣، ص٢٥٨.

(٢) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج١٠، ص٢١٩.

(٣) الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٢٦، ص٣٢١.

أ. من نفسه، كالحسد أو الرغبة في التتبع بقصد الفضول، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [سورة الإسراء:٣٦]، أي: «ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله، فلا تظن ذلك يذهب لا لك ولا عليك، ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسئول عما قاله وفعله، وعما استعمل به جوارحه التي خلقها الله تعالى لعبادته أن يعد للسؤال جوابا، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله تعالى، وإخلاص الدين له، وكفها عما يكرهه الله تعالى»[(١)].

ب. من غيره كأن يأمره به أحد، يقول الله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة:٤٧]، «قال مجاهد: معناه وفيكم محبون لهم يؤدون إليهم ما يسمعون منكم، وهم الجواسيس. وقال قتادة: معناه وفيكم مطيعون لهم، أي: يسمعون كلامهم ويطيعونهم»[(٢)].

وهنا يجب أن نعرف من وَجَّهَ بهذا الأمر، وماهي المقاصد حتى يكون الأمر واضحاً ويحكم عليه، فإن كان دافعه شراً، فخاب وخسر، وإن كان الدافع له مسوغ ويتم وفق الضوابط الشرعية، فسينال الأجر والثواب إن شاء الله تعالى.

ولا شك أن التجسس في الأصل حرام شراعاً، وهذا واضح وصريح في النهي عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [سورة الحجرات:١٢]، وقد يحل وله شواهد وضوابط سيتم ذكرها في المطلب الثاني من هذا المبحث.

---

(١) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٤٥٧.

(٢) البغوي: **معالم التنزيل**، ج٤، ص٥٦.

المطلب الثاني: التحسس والفرق بينه وبين التجسس:

التحسس لغةً:

التحسُّسِ: مأخوذ من الحِسُّ، والحَسِيسُ الصوتُ الخَفِيُّ، والحِسُّ بكسر الحاء من أَحْسَسْتُ بالشيء، حسَّ بالشيء، يَحُسُّ حَسّاً وحِسّاً وحَسِيساً وأَحَسَّ به، ويقال: حَسْتُ بالشيء؛ إذا علمته وعرفته، ويقال أَحْسَسْتُ الخبَرَ وأَحَسْتُه وحَسَيتُ وحَسْتُ؛ إذا عرفت منه طَرَفاً، وتقول: ما أَحْسَسْتُ بالخبر، وما أَحَسْت وما حَسِيتُ ما حِسْتُ؛ أَي لم أَعرف منه شيئا، وتَحَسَّسَ الخبر: تطلَّبه وتبحَّثه[1].

وفي الصحاح «الحِسُّ والحَسيسُ: الصوت الخفي. وتَحَسَّسْتُ من الشيء، أي تخبّرت خبره»[2].

وقد خص الفيروز آبادي التحسس بطلب خبر القوم في الخير[3].

التحسس اصطلاحاً:

لقد ذكر العلماء عدة تعريفات للتحسس كلها يرجع إلى طلب الشيء بالحواس ابتغاء معرفته، وهي على النحو الآتي:

قال البغوي: «التحسس هو طلب الشيء بالحاسَّة»[4].

وفي فتح القدير: «التحسس بمهملات: طلب الشيء بالحواس، مأخوذ من الحسّ، أو من الإحساس»[5].

---

(١) انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مادة: (ح س س).

(٢) الجوهري: **الصحاح**، مادة: (حسس).

(٣) انظر: الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، مادة: (الحس).

(٤) البغوي: **معالم التنزيل**، ج٤، ص٢٧١.

(٥) الشوكاني: **فتح القدير**، ج٣، ص٥٩.

وعرفه الألوسي بأنه «تفعل من الحس، وهو في الأصل الإدراك بالحاسة، وكذا أصل التحسس طلب الإحساس»[١].

وجاء في تفسير حقي: «التحسس طلب الشيء بالحاسة»[٢].

وأغلب هذه التعاريف تتحدث عن الإحساس وكأنها تتحدث عن شيء يحرك الإحساس والعاطفة، يقول الطبري: «وأصل التحسُّس، التفعل من (الحسِّ)»[٣].

وعليه يمكننا القول إن التحسس هو: «**التقصي والبحث بطريقة سرية من أجل دفع ضرر أو جلب خير**».

فجملة «**التقصي والبحث**» **يقصد بها** التتبع والتعقب الذي سبق ذكره في شرح تعريف التجسس.

وجملة «**بطريقة سرية**» لا يختلف المراد بها عما جاء في شرح تعريف التجسس عند القول بوسيلة سرية.

وجملة «**من أجل دفع ضرر**»: أي لرد أمر فيه ضرر قد يحاك في الخفاء، ومثاله تحسس الحاكم وموظفوه على أحوال العامة لدفع الضرر عنهم، كما فعل الصحابي الجليل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ مع المرأة الفقيرة وأطفالها، فقد «طاف ليلة، فإذا هُوَ بامرأة فِي جوف دار لها وحولها صبيان يبكون، وَإِذا قدر عَلَى النار قَدْ ملأتها ماء، فدنا عُمَر بْن الخطاب من الباب، فَقَالَ: يا أمة الله، أيش بكاء هَؤُلَاءِ الصبيان؟ فقالت: بكاؤهم من الجوع، قَالَ: فما هَذِهِ القدر التي عَلَى النار؟ فقالت: قَدْ جعلت فيها ماء أعللهم بها حتَّى يناموا، أَوْهمهم أن فيها شيئًا من دقيق وسمن، فجلس عُمَر فبكى، ثُمَّ جاء إِلَى دار الصدقة فأخذ غرارة، وجعل فيها شيئًا من دقيق وسمن وشحم وتمر وثياب ودراهم، حتَّى ملأ الغرارة، ثُمَّ قَالَ: يا أسلم، احمل

---

(١) الألوسي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٧، ص٤٢.

(٢) البروسوي: **روح البيان**، ج٤، ص٣٠٩.

(٣) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٦، ص٢٣٢.

عليّ، فقلت: يا أمير المؤمنين، أَنَا أحمله عنك! فَقَالَ لي: لا أم لَكَ يا أسلم، أَنَا أحمله لأني أَنَا المسئول عَنْهُمْ فِي الآخرة، قَالَ: فحمله عَلَى عنقه، حتَّى أتي بِهِ منزل المرأة، قَالَ: وأخذ القدر، فجعل فيها شيئًا من دقيق وشيئًا من شحم وتمر، وجعل يحركه بيده وينفخ تحت القدر، قَالَ أسلم: وكانت لحيته عظيمة، فرأيت الدخان يخرج من خلل لحيته، حتَّى طبخ لهم، ثُمَّ جعل يغرف بيده ويطعمهم حتَّى شبعوا، ثُمَّ خرج وربض بحذائهم كأنه سبع، وخفت مِنْهُ أن أكلمه، فلم يزل كذلك حتَّى لعبوا وضحكوا، ثُمَّ قَالَ: يا أسلم، أتدري لم ربضت بحذائهم؟ قلت: لا، يا أمير المؤمنين! قَالَ: رأيتهم يبكون، فكرهت أن أذهب وأدعهم حتَّى أراهم يضحكون، فلما ضحكوا طابت نفسي»[1].

أما جملة «أو جَلْبُ خير» فيقصد بها أن التحسس يكون للظفر بأمر له فائدة تعود على المجتمع كافة، ومنها التحسس من الحاكم وموظفيه بأمره، لمعرفة أصحاب الكفاءات لتمكينهم من القيادة والمشورة حتى ينفع الله بهم البلاد والعباد، إذ من عادة بعض الأجهزة أن «تتقصى الأخبار عن سيرة بعض الأشخاص أو الهيئات من أجل الاستفادة منهم، والأخذ بمشورتهم وخبراتهم وآرائهم في تصريف شئون الدولة، وما تقوم به من أعمال إدارية، واقتصادية للمصلحة العامة في البلاد»[2].

إن الحاكم العادل بمثابة الأب الذي يتحسس أولاده للحفاظ عليهم، ولاشك أن معرفة الرعية بحرص ولي الأمر على ما فيه النفع لهم، ومتابعته لأمورهم لدفع الضرر عنهم يثمر المحبة له في نفوسهم، وقيام ولي الأمر بهذا هو من مقتضيات الإيمان، ويدخل في صميم العمل الصالح، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ

---

(١) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج٤، ص١٣٧.

(٢) الدغيمي، محمد راكان: **التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية**، القاهرة، دار السلام، ط٤، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص١١٧.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [سورة مريم:٩٦]، «يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وهي الأعمال التي ترضي الله، عز وجل، لمتابعتها الشريعة المحمدية يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين مودة، وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه»[١]. ويقول النيسابوري: «سيحدث لهم في القلوب مودّة من غير ما سبب من الأسباب المعهودة كقرابة أو اصطناع، وذلك كما يقذف في قلوب أعدائهم الرعب»[٢].

الفرق بين التحسس والتجسس:

هناك اتجاهان في النظر إلى التجسس والتحسس:

الاتجاه الأول: يرى أنه لا فرق بينهما، أو أنهما قريبان في المعنى.

وممن ذهب إلى ذلك: ابن عباس، والأخفش، والألوسي، والخازن، وعباس، والدغمي.

- فقد ذكر ابن عباس أن معناهما واحد[٣].
- وقال الأخفش: «ليس يبعد أحدهما من الآخر؛ لأن التجسس بالجيم: البحث عما يكتم عنك، والتحسس بالحاء: طلب الأخبار، والبحث عنها»[٤].
- ونقل الألوسي القول بأنهما متحدان ومعناهما معرفة الأخبار، ونقل أيضا أن التجسس بالجيم تتبع الظواهر وبالحاء تتبع البواطن، ونقل أيضا أن الأول يكون في الشر والثاني في الخير، ثم قال «والذي عليه الجمهور أن المراد على القراءتين النهي عن تتبع العورات مطلقاً وعدوه من الكبائر»[٥].

---

(١) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج٥، ص٢٦٧.

(٢) النيسابوري: **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج٤، ص٥١١.

(٣) الماوردي: **النكت والعيون**، ج٥، ص٣٣٤.

(٤) الشوكاني: **فتح القدير**، ج٥، ص٧٦.

(٥) انظر: الألوسي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج١٣، ص٣٠٨.

- ويقول الخازن: «التحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب من التجسس»[١].
- ويرى عباس أن «التحسس مثل التجسس إلا أن الأول في الخير والثاني قد يكون بالشر»[٢].
- ويقول الدغمي: «مآلهما إلى معنى واحد. وأن كلا منهما يعني: البحث عن الأخبار وتفحصها بصورة خفية، ومعرفة الأمور، والبحث عنها وطلبها»[٣].

الاتجاه الثاني: يرى أنهما مختلفان.

وممن ذهب إلى ذلك: ابن كثير، والاوزاعي، والكفوي، وابن عاشور.

- يقول ابن كثير إن التجسس «غالبا يطلق في الشر، ومنه الجاسوس. وأما التحسس فيكون غالبا في الخير»[٤].
- وجاء عند الكفوي أن «التجسس: بالجيم: هو السؤال عن العورات من غيره. والتحسس، بالحاء المغفلة: اكتشاف ذلك بنفسه»[٥].
- وقال الأوزاعي: «التجسس: البحث عن الشيء. والتحسس: الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون، أو يتسمع على أبوابهم»[٦].
- يقول ابن عاشور: «التحسّس بالحاء المهملة: شدة التطلّب والتعرّف، وهو أعم من التجسس بالجيم فهو التطلّب مع اختفاء وتستر»[٧].

---

(١) الخازن: **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج٢، ص٥٥١.

(٢) عباس، فضل حسن عباس: **قصص القرآن الكريم**، الأردن، دار النفائس، ط٣، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٤٤٢.

(٣) الدغمي: **التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية**، ص٢٥.

(٤) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج٧، ص٣٧٩.

(٥) الكفوي: **الكليات**، ص٢٦٢.

(٦) **المصدر السابق**: ج٧، ص٣٧٩.

(٧) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٣، ص١٦٤.

وبهذا يظهر للباحث في الفرق بين التجسس والتحسس ما يأتي:

- أنهما يشتركان في قيامهما على البحث والتفتيش سرا.
- أنهما يشتركان في اعتمادهما على الحواس.
- أنهما يشتركان في أن حكمهما من حيث الحل والحرمة يتبع المقصد منهما.
- أنهما يشتركان في أن الإنسان يمكن أن يقوم بهما لنفسه أو لغيره.
- التجسس غالباً يكون ضد الخصوم والأعداء بدافع درء شرورهم أو إلحاق الضرر بهم.
- التحسس يكون غالباً مع الأولياء، بدافع جلب الخير لهم أو درء الشر عنهم.

ويبقى أن للتجسس والتحسس أحكاما يجب معرفتها، وضوابط ينبغي مراعاتها، ولهذا سأذكرها في المبحث القادم.

المبحث الثاني

حكم التجسس والتحسس وضوابطهما وأهدافهما

المطلب الأول: حكم التجسس والتحسس:

مصطلح التجسس خاصة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأجهزة الأمنية في دول العالم، وهو من أهم الوسائل التي تعتمد عليها الدول في مجالات عديدة تتعلق بأمنها القومي الداخلي والخارجي، كما تتعلق بمقاصد الدولة بحسب توجهاتها ورغباتها.

ومما لا شك فيه أن هناك تجسساً غير منظم أو بالأحرى لا يتبع مؤسسة تابعة للدولة، وهو كثير وأغلبه فردي وبدوافع مختلفة كالفضول، والابتزاز وغيرها من الدوافع.

وعليه يجب على الملتزم بمبادئ دينية، وأخلاقية أن يعرف الحكم الشرعي لهذا العمل الذي يقوم به، وهو التجسس وكذلك التحسس.

١ – التجسس والتحسس الغير مشروع:

لقد نهى الله عز وجل عن التجسس فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات:١٢]. والمعنى «يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه اجتنبوا كثيرًا من ظن السوء بالمؤمنين، إن بعض ذلك الظن إثم، ولا تُفَتِّشوا عن عورات المسلمين، ولا يقل بعضكم في بعضٍ بظهر الغيب ما يكره. أيحب أحدكم أكل لحم أخيه وهو ميت؟ فأنتم تكرهون ذلك، فاكرهوا اغتيابه. وخافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه. إن الله تواب على عباده المؤمنين، رحيم بهم»[(١)].

وقد جاء النهي عن التجسس بعد الأمر باجتناب الظن؛ لأنه من آثار الظن لأن الظن يبعث عليه حين تدعو الظان نفسه إلى تحقيق ما ظنه سرا فيسلك طريق التجسس

---

(١) نخبة من أساتذة التفسير: **التفسير الميسر**، ص٥١٧.

فحذرهم الله تعالى من سلوك هذا الطريق للتحقق، ليسلكوا غيره إن كان في تحقيق ما ظنوه فائدة[1].

قال القرطبي: «قَالَ عُلَمَاؤُنَا: فَالظَّنُّ هُنَا وَفِي الْآيَةِ هُوَ التُّهْمَةُ. وَمَحَلُّ التَّحْذِيرِ وَالنَّهْيِ إِنَّمَا هُوَ تُهْمَةٌ لَا سَبَبَ لَهَا يُوجِبُهَا، كَمَنْ يُتَّهَمُ بِالْفَاحِشَةِ أَوْ بِشُرْبِ الْخَمْرِ مَثَلًا وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ مَا يَقْتَضِي ذَلِكَ. وَدَلِيلُ كَوْنِ الظَّنِّ هُنَا بمعنى التهمة قول تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ يَقَعُ لَهُ خَاطِرُ التُّهْمَةِ ابْتِدَاءً وَيُرِيدُ أَنْ يَتَجَسَّسَ خبر ذلك ويبحث عنه، ويتبصر ويستمع لتحقق مَا وَقَعَ لَهُ مِنْ تِلْكَ التُّهْمَةِ»[2].

وعليه يكون التجسس حرام شرعاً بدليل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وهو نهي عام عن التجسس ومن الأدلة على حرمته أيضاً:

١. قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ [سورة النور:٢٧]، «يرشد الباري عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم بغير استئذان، فإن في ذلك عدة مفاسد: منها ما ذكره الرسول ﷺ، حيث قال ((**إنما جعل الاستئذان من أجل البصر**))[3]، فبسبب الإخلال به، يقع البصر على العورات التي داخل البيوت، فإن البيت للإنسان في ستر عورة ما وراءه، بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده، ومنها: أن ذلك يوجب الريبة من الداخل، ويتهم بالشر سرقة أو غيرها، لأن الدخول خفية، يدل على الشر، ومنع الله المؤمنين من دخول غير بيوتهم ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ أي: يستأذنوا»[4].

---

(١) انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٢٦، ص٢٥٣.

(٢) انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٦، ص٣٣١.

(٣) **صحيح البخاري**: كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، رقم الحديث: (٦٢٤١)، ص١١٦٣.

(٤) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٥٦٥.

٢. يقول الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٨]، أي: «ينسبون إليهم ما هم بُرَآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه، ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ وهذا هو البهت البين أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه، على سبيل العيب والتنقص لهم، ومِنْ أكثر مَنْ يدخل في هذا الوعيد الكفرةُ بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد بَرَّأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم»[(١)].

٣. يقول النبي ﷺ: ((إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً))[(٢)].

ومن أمثلة التجسس والتحسس الغير مشروع:

أ. **التجسس على اسرار الناس وعوراتهم:**

لا شك أن التجسس أو التحسس على عورات الناس وأسرارهم من غير مسوغ شرعي، مبني على بينة يؤدي إلى فساد عريض لا يمكن أن تحمد عواقبه.

وطرق هذا التجسس والتحسس كثيرة في زماننا ومنها: اختراق الحواسيب، أو الهواتف، أو تتبع الشخص بهدف كشف أسراره.

قال السعدي: «ومَنْ بنى حججه على الخرص والظن، فهو مبطل خاسر، فكيف إذا بناها على البغي والعناد والشر والفساد؟»[(٣)].

---

(١) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج٦، ص٤٨٠.

(٢) **صحيح مسلم**، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، رقم الحديث: (٢٥٦٣)، ص١١١٥.

(٣) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٢٧٨.

ولا يتحسس المحتسب أو رب البيت على أسرته أو غيرها بظن وتخمين، فقد جاء في منكرات الشوارع عن الغزالي: «فإن كان مستتراً مخفياً لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه»[1]،

ويضيف الغزالي في الشرط الثالث في أحوال المعصية فيقول: «أن يكون المنكر ظاهراً للمحتسب بغير تجسس. فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه، وقد نهى الله تعالى عنه، وروي أن عمر ﷺ تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه. فقال: وما هي؟ فقال: قد قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [سورة الحجرات:١٢]، وقد تجسست. وقال تعالى: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [سورة البقرة:١٨٩]، وقد تسورت من السطح وقال: ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [سورة النور:٢٧]، وما سلمت. فتركه عمر وشرط عليه التوبة»[2].

ويقرر الماوردي أنه «ليس للمحتسب، أن يبحث عما لم يظهر من المحرمات»[3].

ب. **التجسس لصالح العدو:**

إذا كان التجسس على الأفراد ممنوعاً، فمن باب أولى يكون التجسس لصالح من يعادي الدين والوطن ونظام حكمه أعظم جرماً وإثماً؛ لأن الخيانة فيه أفظع، والضرر المترتب عليه أفدح، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال:٢٧].

جاء عند الطبري: «يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه ﷺ: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ﴾، وخيانتهم الله ورسوله، كانت بإظهار من

---

(١) الغزالي: **إحياء علوم الدين**، ج٢، ص٣٣٨.

(٢) الماوردي: **النكت والعيون**، ج٢، ص٣٢٥.

(٣) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: **الأحكام السلطانية**، القاهرة، دار الحديث، د.ط، د.ت، ص٣٦٦.

أظهر منهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين الإيمانَ في الظاهر والنصيحةَ، وهو يستسرُّ الكفر والغش لهم في الباطن، يدلُّون المشركين على عورتهم، ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم»[1].

والدوافع في هذا كثيرة، ومن أهمها النفاق الذي توعد الله تعالى أصحابه فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء:١٤٥]. «يخبر تعالى عن مآل المنافقين أنهم في أسفل الدركات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب، فهم تحت سائر الكفار لأنهم شاركوهم بالكفر بالله ومعاداة رسله، وزادوا عليهم المكر والخديعة والتمكن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين، على وجه لا يشعر به ولا يحس. ورتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه، فبذلك ونحوه استحقوا أشد العذاب، وليس لهم منقذ من عذابه ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه، وهذا عام لكل منافق إلا مَنْ مَنَّ الله عليهم بالتوبة من السيئات»[2].

وتتجلى خطورة المنافق في الخداع الذي يمارسه على الفئة المؤمنة التي يُظهر الانتماء والحب لها، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة البقرة:١٤]، أي «وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ أي: أظهروا لهم الإيمان والموالاة والمصافاة، غرورًا منهم للمؤمنين ونفاقا ومصانعة وتقية، وليَشركوهم فيما أصابوا من خير ومغنم، ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ يعني: وإذا انصرفوا وذهبوا وخلصوا إلى شياطينهم»[3].

فهم يقولون «بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، و[ذلك] أنهم إذا اجتمعوا بالمؤمنين، أظهروا أنهم على طريقتهم وأنهم معهم، فإذا خلوا إلى شياطينهم ـ أي: رؤسائهم وكبرائهم في الشر ـ

(١) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٣، ص٤٨٠.

(٢) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٢١١.

(٣) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج١، ص١٨٢.

قالوا: إنا معكم في الحقيقة، وإنما نحن مستهزءون بالمؤمنين بإظهارنا لهم، أنا على طريقتهم، فهذه حالهم الباطنة والظاهرة، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله»[1].

٢- التجسس والتحسس المشروع:

مما لا شك فيه أن حكم أي عمل يختلف باختلاف احواله، والتجسس والتحسس كذلك يسري عليها هذا الأمر، فإن كان التجسس والتحسس حرامًا، فهناك حالات يكون فيها مباحاً بل واجباً شرعاً، ومنها ما يأتي:

أ. **التثبت من المعلومات المتداولة فعلاً:**

ليست كل المعلومات التي يتم تداولها مما ينبغي الاهتمام به، والسعي في تبين حقيقته، والتثبت من صدقه، فهناك معلومات ينبغي إهمالها حتى يطويها النسيان، وهي المعلومات التي لا يترتب عليها ضرر خاص أو فساد عام، والإهمال هنا يكون من الأفراد والمؤسسات المعنية في الدولة، ولكن توجد معلومات متداولة ينبغي التثبت منها من قبل الأفراد، ومعلومات يقع عبء التثبت منها على الأجهزة المعنية، **ومن أمثلة هذا الأمر:**

تداول أخبار تفيد بأن هناك امرأة تقوم بإدارة بيت للرذية؛ لأن القيام بهذا العمل مما يزعزع اخلاقيات المجتمع، وهو أيضاً ذريعة لمفاسد كثيرة تتعلق بالنساء وبالأنساب وبسمعة المجتمع عموماً، ومثل هذا الأمر تقع مسؤولية التثبت منه على الجهات المعنية وليس الأفراد، وينبغي أن تتم متابعته في أضيق نطاق ممكن، لأن القرآن يشدد في مسألة حفظ الأعراض، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [سورة النور:٤].

(١) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٤٣.

قال ابن عطية «هذه الآية نزلت في القاذفين... وخص النساء بالذكر؛ لأن رميهن بالفاحشة أبشع وأنكى للنفوس، وقذف الرجال داخل في حكم الآية بالمعنى»[1].

والمراد بالرمي الرمي بالزنا، بدليل السياق، ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا﴾ على ما رموا به ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ رجال عدول، يشهدون بذلك صريحا، ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ بسوط متوسط، يؤلم فيه، ولا يبالغ بذلك حتى يتلفه، لأن القصد التأديب لا الإتلاف، وفي هذا تقدير حد القذف، ولكن بشرط أن يكون المقذوف كما قال تعالى محصنا مؤمنا، وأما قذف غير المحصن، فإنه يوجب التعزير. ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ أي: لهم عقوبة أخرى، وهو أن شهادة القاذف غير مقبولة، ولو حد على القذف، حتى يتوب كما يأتي، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله، الذين قد كثر شرهم، وذلك لانتهاك ما حرم الله، وانتهاك عرض أخيه، وتسليط الناس على الكلام بما تكلم به، وإزالة الأخوة التي عقدها الله بين أهل الإيمان، ومحبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وهذا دليل على أن القذف من كبائر الذنوب[2].

كما أن في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور:٢٣]. «وعيد للذين يرمون المحصنات الغافلات ـ خُرّج مخرج الغالب ـ المؤمنات. فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب النزول، وهي عائشة بنت الصديق ﵂.

---

(١) بتصرف، ابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج٤، ص١٦٤.

(٢) بتصرف: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٥٦١.

وقد أجمع العلماء ـ رحمهم الله ـ قاطبة على أن مَنْ سَبَّها بعد هذا ورماها بما رماها به [بعد هذا الذي ذكر] في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن. وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما أنهنَّ كهي»[1].

وقد قرر الماوردي في أمر المنكرات والفواحش التي يتم ارتكابها أنه إن «غلب على الظنَّ استسرار قوم بها، لأمارة وآثار ظهرت، فذلك ضربان:

أحدهما: أن يكون ذلك في انتهاك حرمة، يفوت استدراكها، مثل أن يخبره من يثق بصدقه، أن رجلاً خلا برجل ليقتله، أو بامرأة ليزني بها، فيجوز له في مثل هذا الحال أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث؛ حذراً من فوات ما لا يستدرك.

الضرب الثاني: ما قصر عن هذه الرتبة، فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الأستار عنه، فإن سمع أصوات الملاهي المنكرة من دارٍ، أنكرها خارج الدار، ولم يهجم عليها بالدخول؛ لأن المنكر ظاهر فليس عليه أن يكشف عن الباطن»[2].

وقول الماوردي في الضرب الثاني: "فإن سمع أصوات الملاهي المنكرة، من دارٍ، أنكرها خارج الدار، ولم يهجم عليها بالدخول، لأن المنكر ظاهر فليس عليه أن يكشف عن الباطن" صحيح إن لم يجر هذا الأمر مفسدة أعظم على من يتصدى للمنكر أو على المجتمع.

ب. **التجسس على الأعداء والمجرمين وأهل الريب:**

إن من الواجب شرعاً الحفاظ على المرتكزات التي يقوم عليها المجتمع المسلم من شرور الأعداء والمجرمين وأهل الريب، وهذا ما يتضمنه قول الله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ [سورة الأنفال:٦٠]، وهو «أمر جازم بإعداد كل ما في الاستطاعة من قوة ولو بلغت

---

(١) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج٦، ص٣١.

(٢) الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص٣٦٦.

القوة من التطور ما بلغت، فهو أمر جازم بمسايرة التطور في الأمور الدنيوية، وعدم الجمود على الحالات الأول إذا طرأ تطور جديد. ولكن كل ذلك مع التمسك بالدين»[1].

ولا شك أن من الإعداد متابعة حال الأعداء والخصوم المتربصين بالمجتمع، وجمع معلومات تساعد على مواجهة مكائدهم.

وبناء على ذلك يجب التجسس على من يعلم عداوته للمجتمع، وعلى من اتضح إجرامه واستهدافه لأمن المجتمع لأن الله تعالى يقول: ﴿وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [سورة النساء:١٠٢]، أي كونوا محترسين منهم حتى لا يميلوا عليكم وأنتم عنهم غافلون.

وكذلك يشرع لولي الأمر سواء كان رب أسرة، أو حاكم أن يتحسس أمور رعيته بشكل عام، فإن وجد ما يعكر صفو التآلف والتلاؤم بادر إلى مواجهته، دون أن يحيد عن العدل تحت ضغط عواطف ومشاعر الحب أو البغض.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [سورة المائدة:٨]. يعني الله تعالى بذلك: «يا أيها الذين آمنوا ليكن من أخلاقكم وصفاتكم العدل، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعدواتهم لكم، ولا تقصِّروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدِّي، واعملوا فيه بأمري. وأما قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ فإنه يقول: ولا يحملنكم عداوةُ قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة. وقول الله تعالى: ﴿ٱعْدِلُوا۟﴾ أي يا أيها المؤمنون، على كل أحد من الناس وليًّا لكم كان أو عدوًّا، فاحملوهم على ما أمرتكم

(١) الشنقيطي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج٣، ص٣٨.

أن تحملوهم عليه من أحكامي، ولا تجوروا بأحد منهم و﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أقرب لكم أيها المؤمنون إلى التقوى»[1].

وعلى هذا يكون التجسس والتحسس مشروعا بل واجبا لحماية ما يجب حمايته، ومن الأدلة على مشروعيته:

١. قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [سورة يوسف:٨٧]. هذه الآية وردت في القرآن الكريم على لسان يعقوب عليه السلام، فقد «قيل: أوحى الله تعالى إليه أنه سيلقى ابنه، ولكنه ما عين الوقت فلذلك قال ما قال. ثم دعا بنيه على سبيل التطلب فقال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ﴾ وهو طلب الشيء بالحاسة كالتسمع والتبصر ومثله التجسس بالجيم»[2]، فكان هذا توجيها من الأب لأبنائه «فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما»[3].

وقبل أن يطلب منهم التحسس، وضع الخطة المناسبة لنجاح المهمة الموكلة لهم ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [سورة يوسف:٦٧]، « أي لئلا يستلفت دخولهم من باب واحد، أنظار من يقف عليه من الجند، ومن يعسّ للحاكم، فيريب بهم، لأن دخول قوم على شكل واحد، وزيّ متحد، على بلدهم غرباء عنه، مما يلفت نظر كل راصد. وكانت المدن وقتئذ مبوّبة لا ينفذ إليها إلا من أبوابها، وعلى كل باب حرسه،

(١) انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٠، ص٩٥.

(٢) النيسابوري: **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج٤، ص١٢٠.

(٣) البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٣، ص١٧٤.

وليس دخول الفرد كدخول الجمع في التنبه، واتباع البصر»[1]، وهذا للحذر حيث إن للحاكم عيون وجواسيس قد يرتابون من دخولكم جماعة فليس دخول الجماعة كالفرد[2].

وهذا يدل على «أن استعمال الأسباب الدافعة للعين أو غيرها من المكاره، أو الرافعة لها بعد نزولها، غير ممنوع، بل جائز، وإن كان لا يقع شيء إلا بقضاء وقدر، فإن الأسباب أيضا من القضاء والقدر، لقول يعقوب لبنيه: ﴿ **يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ** ﴾، **ومنها فائدة:** جواز استعمال المكايد التي يتوصل بها إلى الحقوق، وأن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمد عليه العبد، وإنما الممنوع، فعل محرم»[3].

٢. جاء في صحيح البخاري عن الرسول ﷺ يوم الأحزاب أنه قال: ((**من يأتينا بخبر القوم؟**)) فقال الزبير أنا. ثم قال: ((**من يأتينا بخبر القوم؟**)) فقال الزبير: أنا. ثم قال: ((**من يأتينا بخبر القوم؟**)) فقال الزبير: أنا. ثم قال: ((**إن لكل نبي حواري وإن حواري الزبير**))[4].
وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ((**بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عيناً وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري**))[5].

وهذا الفعل من الرسول ﷺ يعد من أبرز الشواهد للتأكيد على مسألة التجسس والتحسس، حيث كان يبعث العيون من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ويجند المصادر

---

(١) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق: **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الرياض، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ، ج٦، ص١٩٧.

(٢) انظر: زيدان، عبد الكريم: **المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠١٤م، ص١٨٨.

(٣) انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **قصص الأنبياء**، تحقيق: أشرف عبد المقصود، الرياض، مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٩٣.

(٤) **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، حديث رقم: (٤١١٣)، ص٧٤٦.

(٥) **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر ومن رقع ركعتين عند القتل، حديث رقم: (٣٠٤٥)، ص٥٤٦.

من المشركين أنفسهم لكي يتعرف، في كثير من غزواته على حال عدوه، وليتعامل مع الظروف الأمنية التي كادت تعصف بالمسلمين.

فعندما جاء نعيم بن مسعود الغطفاني متسللاً من قومه ليعلن إسلامه ومعلناً استعداده لتلبية أي طلب يطلبه منه الرسول ﷺ، وذكر له أن قومه لا يعلمون بأمره، استغل الرسول الكريم هذا الأمر أمنيا واستخبارياً. وقال له: إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة؛ وعليه تحرك الصحابي الجليل رضي الله عنه بتوجيهات القائد مخفياً اسلامه ليزرع الشقاق والفرقة بين الأعداء ليخذلهم عن المسلمين، وبعدها يبعث الرسول صلى الصحابي حذيفة ابن اليمان ليتجسس حتى يتثبت ما حل بالقوم، وأمره أن يحافظ على سرية المعلومات التي سيحصل عليها، حيث قال له: ((**اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدثنَّ شيئاً حتى تأتينا**))[1].

وجاء في الرحيق المختوم تحت عنوان الاستخبارات النبوية تكشف حركة العدو عن تحرك الأعداء للهجوم على المسلمين ما نصه: «كان العباس بن عبد المطلب يراقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية، فلما تحرك هذا الجيش؛ بعث العباس رسالة مستعجلة إلى النبي ﷺ، ضمنها جميع تفاصيل الجيش، وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة، وجدّ في السير حتى إنه قطع الطريق بين مكة والمدينة ـ التي تبلغ مسافتها إلى خمسمائة كيلو مترا ـ في ثلاثة أيام، وسلم الرسالة إلى النبي ﷺ وهو في مسجد قباء. قرأ الرسالة على النبيّ ﷺ أبيّ بن كعب، فأمره بالكتمان، وعاد مسرعا إلى المدينة، وتبادل الرأي مع قادة المهاجرين والأنصار»[2].

---

(١) انظر: المعافري، ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري: **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ج٢، ص٢٩٩-٢٣٢.

(٢) المباركفوري، صفي الرحمن: **الرحيق المختوم**، بيروت، دار ابن حزم، ط٢ (خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر)، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٢٤٠.

وبعد أن تبين الرسول ﷺ بخبر عمه العباس أراد أن يتثبت فأرسل «أنسا ومؤنسا ابني فضالة يتسنّطان أخبار قريش، فألفياها قد قاربت المدينة، وأرسلت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها، وأرسل بعدهما الحباب بن المنذر مستطلعا، فجاءت الرسل تؤكد ما أخبر به العباس، وأن جيش قريش بمشارف المدينة، ولم يعد الأمر سرا، فقد توالت الأخبار بوصول قريش وعسكرتها بالقرب من أحد، وأخذ المسلمون الحيطة للرسول ولأنفسهم، حتى لقد بات وجوه المسلمين من أهل المدينة وعليهم السلاح بالمسجد النبوي خوفا على الرسول ﷺ، وأقاموا حراسا على مداخل المدينة بالليل»[1].

ومن الاستراتيجيات المهمة في الحروب والغزوات، والتي كان الرسول ﷺ حريصاً عليها لأنها إحدى أهم وسائل النصر: السرايا التي كانت تسبق ساعة الصفر، وكان دورها جمع المعلومات والتثبت منها ومعرفة أوضاع العدو وجاهزيته للمواجهة.

جاء في المنتظم أن الرسول ﷺ أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم، فلما كان من الغد اختار الصحابي أسامة بن زيد رضي الله عنه على رأس الجيش، ودعاه، وقال له: «سر إلى موضع مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فأغر صباحا عَلَى أهل **أُبْنى**، وحرق عليهم، وأسرع السير تسبق الأخبار، فإن ظفرك الله تعالى، فأقلل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون والطلائع أمامك»[2].

---

(١) أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم: **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**، دمشق، دار القلم، ط٨، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ج٢، ص١٨٨،١٨٧.

(٢) الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٤، ص١٦.

ومن العمليات المهمة تجنيد المصادر والعيون في عقر دار العدو، فكل قوم أعلم بأمور وخفايا محيطهم، وقد جاء في الخبر: ((**اسْتَعِينُوا عَلَى كُلِّ صَنْعَةٍ بِصَالِحِ أَهْلِهَا**)). وقد يستأنس له بقوله ﷺ: ((**ما كان من أمر دنياكم فإليكم**))[1].

لقد جاءت عملية اغتيال وتصفية الأسود العنسي الذي ادعى النبوة في اليمن بتوجيهات من الرسول ﷺ في غاية الإبداع والحس الأمني والاستخباراتي.

فقد ذكر أبو الفداء أن الرسول ﷺ «بعث رسولاً إلى الأبناء وأمرهم أن يخاذلوا الأسود إما غيلة وإما مصادمة» [2]. وجاء عند الطبري: «عن ابن الديلمي قال: قدم علينا وبر بن يحنس بكتاب النبي ﷺ، يأمرنا فيه بالقيام على ديننا، والنهوض في الحرب، والعمل في الأسود: إما غيلة وإما مصادمة؛ وأن نبلغ عنه من رأينا أن عنده نجدة ودياناً»[3].

وعليه تم استغلال بغض زوجته له، وهي التي تزوجها بعد أن قتل زوجها، فتم تجنيدها لتتجسس على الأسود، ولتشارك في عملية الاغتيال التي كانت من قبل ابن عمها فيروز الدليمي، وقيس بن مكشوخ.

قال قيس: فدخلت على امرأته أزاذ، فقلت: يا ابنة عمي قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك: قتل زوجك، وطأطأ في قومك القتل، وفضح النساء، فهل عندك ممالاة عليه؟ قالت: على أي أمر، قلت إخراجه، قالت: أو قتله، قلت: أو قتله، قالت: نعم، والله ما خلق الله شخصا هو أبغض إلي منه، فما يقوم لله على حق ولا ينتهي له عن حرمة، فإذا عزمتم

---

(١) مرفوع بلا اسناد، جاء عند: السخاوي، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد: **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، تحقيق: محمد عثمان الخشت، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٥م، ص١١٣؛ وعند: الشيباني، عبد الرحمن بن علي بن محمد: **تميز الطيب من الخبيث**، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٢١.

(٢) أيوب، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه: **المختصر في أخبار البشر**، القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، د.ت، ط١، ج١، ص١٥٥.

(٣) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي: **تاريخ الطبري**، بيروت، دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج٣، ص٢٣١.

أخبروني أعلمكم بما في هذا الامر، فاجتمع رأيهم على أن عاودوا المرأة في أمره، فدخل أحدهم ـ وهو فيروز ـ إليها فقالت: إنه ليس من الدار بيت إلا والحرس محيطون به، غير هذا البيت، فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطريق، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه من دون الحرس، وليس من دون قتله شيء، وإني سأضع في البيت سراجا وسلاحا، فلما خرج من عندها تلقاه الأسود فقال له: ما أدخلك على أهلي؟ ووجأ رأسه، وكان الأسود شديدا، فصاحت المرأة فأدهشته عنه، ولولا ذلك لقتله، وقالت: ابن عمي جاءني زائرا، فقال: اسكتي لا أبا لك، قد وهبته لك، فخرج على أصحابه فقال: النجاء النجاء، وأخبرهم الخبر، فحاروا ماذا يصنعون؟ فبعثت المرأة إليهم تقول لهم: لا تنثنوا عما كنتم عازمين عليه، فدخل عليها فيروز الديلمي فاستثبت منها الخبر، ودخلوا إلى ذلك البيت فنقبوا من داخله بطائن ليهون عليهم النقب من خارج، ثم جلس عندها جهرة كالزائر، فدخل الاسود فقال: وما هذا؟ فقالت: إنه أخي من الرضاعة، وهو ابن عمي، فنهره وأخرجه، فرجع إلى أصحابه، فلما كان الليل نقبوا ذلك البيت فدخلوا فوجدوا فيه سراجا تحت جفنة فتقدم إليه فيروز الديلمي والاسود نائم على فراش من حرير، قد غرق رأسه في جسده، وهو سكران يغط، والمرأة جالسة عنده، فلما قام فيروز على الباب أجلسه شيطانه وتكلم على لسانه – وهو مع ذلك يغط – فقال: مالي ومالك يا فيروز؟ فخشي إن رجع يهلك وتهلك المرأة، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل فأخذ رأسه فدق عنقه ووضع ركبتيه في ظهره حتى قتله[1].

فقتل عدو الله بخطة محكمة، قامت على اختراق بيت الهدف، وتجنيد زوجته، ومثل هذا التجنيد الذكي المحكم، والذي ينظر في كيفية اختراق العدو، ونقطة الضعف التي يتم استغلالها في المصدر نفسه، بحيث يتم تجنيده على أساسها كان ديدنا يتم الأخذ به كلما كان متاحا، فقد ذكر ابن هشام أن الرسول ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه، قد استعان بأحد المصادر من

(١) انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الرياض، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٩، ص٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤.

الأعداء أنفسهم بمقابل فقال: «وكانا قد استأجرا عبد الله بن أريقط الليثي، وكان هادياً ماهراً بالطريق، وكان على دين قومه من قريش، وأمناه على ذلك، وسلما إليه راحلتهما»[١].

يقول الغضبان معلقاً على هذا النوع من التجنيد: «فالاستفادة من خبرته قائمة طالما أنه مأمون لا ينقل الأخبار للمشركين»[٢].

وقد كانت الاستعانة بالمسلمين أساسية أيضا في مجال التجسس على الأعداء، فقد جاء عند ابن هشام في قصة الرسول ﷺ مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه في الغار من توجيه أبي بكر لابنه عبد الله بحيث يتجسس الأخبار لهما، ويستطلع المعلومات التي تخدم أمنهما، قال ابن هشام: «فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج أتى أبا بكر بن أبي قحافة فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمد إلى غار بثور ـ جبل بأسفل مكة ـ فدخلاه وأمر أبو بكر ابنه عبدالله بن ابي بكر أن يستمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر؛ وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما، يأتيهما إذا أمسى في الغار»[٣].

وكان غالب بن الله الكناني الليثي مصدراً وعيناً يوم الفتح بتوجيهات من الرسول ﷺ حيث قال: «بعثني النبي صلّى الله عليه وآله وسلم عام الفتح بين يديه لأسهل له الطريق، ولأكون له عينا»[٤].

وبهذا يتبين لنا أن العيون كانت إحدى وسائل جمع المعلومات عند الرسول ﷺ لأن جمع المعلومات هو الهدف الأهم لعمل المخابرات الناجحة، وهو عمل شاق ومنظم ومكلف،

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: **زاد المعاد في هدي خير العباد**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ط٢٧، ج٣، ص٤٧.

(٢) الغضبان، منير محمد: **المنهج الحركي للسيرة النبوية**، الأردن، مكتبة المنار، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ط٦، ج١، ص١٩٣.

(٣) المعافري: **السيرة النبوية**، ج١، ص٤٨٥.

(٤) العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج٥، ص٢٤٣.

وهذا العمل يمر بعدة مراحل، منها العيون وتتمثل في: عيون مقيمة داخل صفوف العدو في مكة، وعيون من المدينة المنورة، تتبع العدو، وترصد حركته، وتتحسس أخباره، وعيون من القبائل العربية، وعيون من الشام، وعيون يهودية، ثم يأتي الأدلاء، ثم أسرى الحروب، ثم عمال الصدقات، ثم التجار والركبان، ثم الرسل والوفود[1].

ولا شك في أن الوسائل تتطور بتطور العلم، وقد أصبح لدينا وسائل تقنية حديثة ودقيقة تساعد في وقت وجيز على الوصول لأكبر قدر من المعلومات الدقيقة، وطبيعي أن يكون كل هذا وفق ضوابط وآليات محددة.

ولأنه ليس لأحد الشروع في التجسس والتحسس إلا أن يكون مخولاً لذلك فإنني أخص هذه المسألة بالحديث في النقطة القادمة.

المطلب الثاني: ضوابط التجسس والتحسس وأهدافهما

إذا كان التجسس والتحسس مشروعاً في عدة ظروف ومواقف، ومنها التثبت من بعض المعلومات، فليس لأي أحد أن يشرع في هذا الأمر إلا من وُكِّلَ لهذا الأمر، فلكل مقام مقال، ولكل مجال رجال.

والتوجيه بذلك ينبغي أن يأتي ممكن له الحق في ذلك، وفق أسس وقواعد تراعى فيها قواعد الشريعة في الموازنة بين المصالح والمفاسد، وبين المفاسد بعضها للبعض.

ومن الطبيعي أن يكون المتحسس أو المتجسس مدرباً وفطناً للقيام بتلك المهمة، ومع ذلك يجب أن تتوفر فيه الصفات الآتية:

---

(١) انظر: فرحات، كرم حملي: **تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور**، مصر، مكتبة الإمام البخاري، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م، ص٨٨-١٢٠.

١. **الصدق والأمانة:**

من الضروري جداً أن يكون القائم على هذه العملية صادقاً ومتورعاً عن الكذب، وأميناً دقيقاً فيما ينقل من معلومات، فالصدق منجاة في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [سورة المائدة:١١٩]، والصادقون هم الذين استقامت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم على الصراط المستقيم والهدْي القويم، فيوم القيامة يجدون ثمرة ذلك الصدق، إذا أحلهم الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، والكاذبون بضدهم، سيجدون ضرر كذبهم وافترائهم، وثمرة أعمالهم الفاسدة»[(١)].

ومن الطبيعي أن يكون الصادق الأمين عادلاً، وكل حريص على العدل قريب من التقوى، قال تعالى: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [سورة المائدة:٨]، «أي العدل أقرب للتقوى، صرح لهم بالأمر بالعدل وبين أنه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى، وإذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين»[(٢)].

٢. **الموهبة:**

إن القائم بالتجسس والتحسس لابد أن يكون موهوباً وذا ملكات خاصة تتيح له النجاح في المهمات الموكلة إليه، والموهبة المقترنة بالصدق والأمانة والعدل والتقوى لا تخرج عن الحكمة التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [سورة البقرة:٢٦٩].

---

(١) بتصرف: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٢٤٩.

(٢) البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص١١٧.

لأن « الحكمة هي العلوم النافعة، والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال، وهذا أفضل العطايا، وأجل الهبات، ولهذا قال: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾؛ لأنه خرج من ظلمة الجهالات إلى نور الهدى، ومن حمق الانحراف في الأقوال والأفعال، إلى إصابة الصواب فيها، وحصول السداد، ولأنه كمل نفسه بهذا الخير العظيم، واستعد لنفع الخلق أعظم نفع، في دينهم ودنياهم، وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام والإحجام في موضع الإحجام»[1].

٣. الصبر:

من المميزات التي لا يستغنى عنها القائم بالتجسس والتحسس عدم العجلة والصبر، بحيث لا يكشف أمراً من الأمور حتى وإن تعرض للأذى؛ لأن الأذى هنا نوع من الابتلاء الذي لا ينجو منه كل قائم بالحق، حريص على الخير للأمة، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة البقرة:١٥٥]، فأخبر الله تعالى أنه «لا بد أن يبتلي عباده بالمحن، ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة، لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر. هذه فائدة المحن، ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب، فالصابرين، هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة»[2].

٤. الانضباط وكتم الأسرار:

وهي من الأمور المهمة والحساسة جداً، والتي يجب أن يفهمها القائم بالتجسس والتحسس، فليس كل ما يعرف يقال «وقد كان من سياسة النبي ﷺ الاستخبارية حجب

---

(١) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٩٥٧.

(٢) انظر: السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٧٥.

المعلومات الأمنية والتحركات العسكرية عن جنده وقادته والمسلمين أحياناً إذا اقتضت المصلحة الأمنية ذلك»[(١)].

وقد «بعث النبي ﷺ عبد الله بن جحش رضي الله عنه ومعه ثمانية من المهاجرين، وكتب له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، فسار رضي الله عنه هو ومن معه، وقد عمى عنهم الهدف الذي يسيرون إليه، وهذا إمعاناً في السرية، وحذراً من تسرب أخبار السرية لقريش، ولما وفتح الكتاب وجد فيه الأمر: أن يمضي حتى ينزل نخلة بين مكة والطائف، ليرصد بها عيراً لقريش، ويعلم له من أخبارهم، وأن لا يستكره أحداً من أصحابه»[(٢)].

وهذا الانضباط لون من ألوان الطاعة التي أمر الله تعالى بها في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [سورة النساء:٥٩]، فأمر عز وجل «بطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله تعالى ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول ﷺ لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله تعالى، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية»[(٣)].

وإذا كان أحد الباحثين قد قرر أن الذين ورد أنهم كانوا عيوناً، أو رجال استخبارات للنبي ﷺ وهم غير مسلمين، لم يستعن بهم النبي ﷺ، وإنما كانوا عيوناً، ورجال استخبارات له

---

(١) انظر: آل عيسى، عبد السلام بن محسن: **بحوث محكمة في السيرة النبوية**، السعودية، مركز البصائر للبحث ط١، ١٤٣٦هـ، ص١١٩.

(٢) المصدر السابق، ص١١٩.

(٣) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص١٨٣.

ﷺ من عند أنفسهم، يخبرون النبي ﷺ بعورات عدوه، وخططه، وتدابيره الكيدية، محبة للنبي ﷺ والمسلمين مثل عمه العباس الذي كان عيناً للنبي ﷺ بمكة وكان على دين قريش ثم أسلم. وكذلك كانت خزاعة مسلمهم وكافرهم ضد عدوه من المشركين. وأما العين الوحيد الذي استعان النبي ﷺ وكان مشركاً، فهو عبدالله بن أريقط، الذي استعان به في الهجرة إلى المدينة ليخرج به إلى طريق لا تهتدي إليه قريش، وذلك لأن النبي ﷺ وثق به وأمنه، وهذا لا يتحقق لغيره ﷺ لأنه يوحى إليه، ولعله ﷺ استعان به لأنه لا يوجد في المسلمين من يقوم مقامه، فقد كان هادياً خريتاً، أي بصيراً وعالماً بالطريق[(١)].

ويرى الباحث أن اشتراط هذا الباحث الكريم لشرط الإسلام في الشخص الذي توكل إليه مهمة التجسس والتحسس استنادا إلى أن العين الوحيدة التي استعان بها النبي ﷺ كانت مشركة ليس وجيهاً لما يأتي:

١. لو فرضنا أنها الحالة الوحيدة فيكفي الاستدلال بها على مشروعيتها، ولو كانت غير مشروعة ومخصوصة للنبي ﷺ، لنبه وحذر حتى يتنبه المسلمين لذلك.
٢. السيرة مليئة بهذه الحالات ولم يكن عبد الله بن أريقط هو الحالة الوحيدة، ففي فتح خيبر أقام رسول الله ﷺ على محاصرة قلعة الزبير بحصن النطاة ثلاثة أيام، «فجاء يهودي يدعى غزال فقال: يا أبا القاسم تؤمنني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة وتخرج إلى أهل الشق، فإن أهل الشق قد هلكوا رعبا منك؟ فأمنه رسول الله ﷺ على أهله وماله»[(٢)]، و «لم يكن غزال هذا هو اليهودي الوحيد الذي استطاع النبي ﷺ أن يجنده لصالحه ضد بني جلدته»[(٣)].

---

(١) انظر: آل عيسى: **بحوث محكمة في السيرة النبوية**، ص١٤٣.

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني: **دلائل النبوة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١، ص٢٢٤.

(٣) حمودي، إمام الشافعي محمد: **المخابرات في التاريخ الإسلامي الباكر**، مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٨٥.

٣. أن تجنيد العيون غير مسلمة بعد التأكد منها، والتحرز من أضرارها يكون أقوى وأشد للفتك بالعدو لأنها من بينهم، فلا يتنبه العدو لهم، بعكس المسلم الذي يكون تحت مراقبة العدو، والقصص كثيرة من عهد الرسول ﷺ إلى يومنا الحاضر في الاستفادة من التجنيد في وسط الأعداء أنفسهم.

أهداف التجسس والتحسس:

لأي عمل كان أهداف ودوافع، والتجسس والتحسس من الأعمال المنوطة بأهل الاختصاص في الحالات المشروعة، ومن أهم أهدافه ودوافعه التبين والتثبت من المعلومات التي تشاع أو تدور بين الناس قلوا أو كثروا، بهدف الإجابة عن عدة أسئلة هي: من؟، ولماذا؟، وكيف؟، وما الدافع؟، وما الآثار؟ وأسئلة أخرى كثيرة قد تحتاج إلى إجابات تساعد على الوصول إلى الحقيقة، وتمكن من تبين معالمها، والتثبت من تفاصيلها؛ بحيث يتم اتخاذ المواقف والإجراءات المناسبة.

وتتجلى أهداف التجسس والتحسس في عدة أمور، من أهمها ما يأتي:

١. **تمييز العملاء من غيرهم:**

فقد يتم تداول معلومات تفيد وجود شخص أو أشخاص يعملون مع الأعداء، ويمررون لهم المعلومات التي تعينهم على التمكن من الوطن، والإخلال بمكتسباته.

وقد يكون ذلك الأمر عن عمد وإصرار من الشخص بهدف الإضرار، وقد يكون بجهل كأن يمرر معلومات لا يعرف أنها مهمة، وأنها تضر بالبلاد والعباد، أوقد يكون مجبراً على هذا الأمر وله عذره، وفي كل الأحوال يجب التبين والتثبت، ووسيلة ذلك في الأغلب هي التجسس والتحسس.

لقد نزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ [سورة الممتحنة:١] في الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة [(١)] ﷺ، عندما سرب معلومات عسكرية مهمة لمشركي مكة، وذلك عبر كتاب تم نقله بواسطة امرأة من قريش، وقد تم كشف أمرها عن طريق الوحي، فلحق بها الصحابة ـ رضوان الله عليه أجمعين ـ بأمر من النبي ﷺ وأفشلت هذه العملية، وتم التحقيق مع الصحابي ﷺ الذي أظهر عذره، فقبل النبي ﷺ هذا العذر[(٢)].

قال علي بن أبي طالب ﷺ: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: ((**انطلقوا حتى تأتوا "روضة خاخ"، فإن بها ظَعِينة معها كتاب، فخذوه منها**)). فانطلقنا تَعَادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب. قلنا: لتخرجن الكتاب أو لنُلقين الثياب. قال: فأخرجت الكتاب من عِقَاصها، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: ((**يا حاطب، ما هذا؟**)). قال: لا تعجل علي، إني كنت امرأ مُلصَقًا في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: ((**إنه صَدَقكم**)). فقال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: ((**إنه قد شهد بدرًا، ما يدريك لَعَلّ الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**))[(٣)].

---

(١) مرت قصة حاطب ﷺ في ص٣٦-٣٨.

(٢) **تفسير الطبري**: (٣٠٩/٢٣)، **تفسير ابن كثير**: (٨٢/٨)، **تفسير السعدي**: ص٨٥٤.

(٣) **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح وما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ، رقم الحديث: (٤٢٧٤)، ص٧٧٣.

وهذه القصة يستفاد منها أمور كثيرة، وفيها دورس عظيمة، منها ما يأتي:

أ. أننا بعد التبين من الأمر يجب أن نتثبت، ونعرف الظروف والأحوال والملابسات التي أدت إلى وقوع المخطئ في الخطأ.

ب. أن عملية التبين والتثبت تخضع لمعايير شرعية وثوابت أخلاقية يجب المحافظة عليها إلا عند الاضطرار، وهذا ما يتجلى في تعامل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مع المرأة.

ج. أن ننتبه ونأخذ حذرنا من عملية اختراق العدو لنا من أقرب قريب، فقد يستغل ضعفه وحاجته، أو يكون العدو قد دبر له مكيدة يضغط عليه بها.

د. المراجعة الدورية والتحسس على من لهم ظروف خاصة، كالحاجة المادية أو النفسية، أو من ترتاب الأجهزة المختصة في سيرته وسلوكه.

٢. مكافحة الشائعات، والمعلومات المضللة:

وهذا الأمر حساس جداً من عدة نواحي، لكي نعلم مصدر الإشاعة، ولماذا أشاعها، وكيف أشاعها، وفي الأغلب فإن مروجي الإشاعات يغلب عليهم فساد الطبع وسوء الطوية، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة التوبة:٤٧]، أي هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم، وإذا كانوا حريصين على خذلانكم، وإلقاء الشر بينكم، وتثبيطكم عن أعدائكم، وفيكم من يقبل منهم ويستنصحهم، فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين، فللّه أتم الحكمة حيث ثبطهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين لطفا من أن يداخلهم ما يضرهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيعلم عباده كيف يحذرونهم، ويبين لهم من المفاسد الناشئة من مخالطتهم[١].

ولعل من أخطر الشائعات ما تروجه الأجهزة المعادية بهدف دفع الخصم إلى اتخاذ إجراءات في صالح الدولة التي تنتسب إليها تلك الأجهزة، أو في صالح عملائها، ومن أجل

(١) انظر: السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٣٣٩.

«الحصول على معلومات صحيحة: يتم في بعض الحالات ترويج الإشاعة بشكل مبالغ فيه؛ بهدف وضع الطرف الآخر تحت ضغط المبالغات إلى أن يعطي الحقائق، أو من أجل التمويه: ويتم ذلك بإطلاق الشائعات كستار دخان للتمويه ولإخفاء الحقائق؛ بهدف تنفيذ خطط معينة، وغالباً ما يستخدم هذا الأسلوب في أوقات الحروب»[1]، أو من أجل قياس الرأي العام بغية توجيهه لغاية معينة.

٣. الحصول على المعلومات وتحليلها:

مما لا شك أن جمع المعلومات والحصول عليها يلعب دوراً كبيراً في الحفاظ على الأمن والصالح العام، وتجنب الأزمات، بل أصبحت الدول تقاس قوتها بقدر المعلومات التي تملكها، وتحافظ عليها من الاختراقات، فالقوة بالعلم، والجهل بالمعلومة ضعف، وسبيل للخسارة.

وأهمية المعلومة عرفت منذ أن خلق الله البشرية فقد ميز الله تعالى أبانا آدم عليه السلام بالمعلومة، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [سورة البقرة:٣١].

وكذلك رحم الله تعالى سيدنا الخضر عليه السلام بالعلم الذي منحه إياه لما فيه القوة، فقال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [سورة الكهف:٦٥].

وقد قال تعالى موبخاً الجهلة الذي لا يملكون المعلومات تقاعساً، ويعتمدون على غيرهم: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [سورة البقرة:١١٣].

والقرآن الكريم يوجهنا من خلال كم المعلومات الهائل الذي تضمنه عن الأمم السابقة، وعن الكافرين والمنافقين وصراعنا معهم، وعن الكون بكل تفاصيله إلى ضرورة الاهتمام بتحصيل المعلومات ثم بتحليلها على نحو يمكننا من توظيفها في عمارة الكون، وإصلاح الخلق، والنهوض بأمانة التكليف التي وضعها الله تعالى في أعناق بني آدم.

---

(١) بتصرف: المري، جمال محمد خليفة: **الأمن القومي**، دبي، أكاديمية شرطة دبي، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص١١٦.

وفي نهاية هذا الفصل يتضح لنا ما يأتي:

- التجسس والتحسس يشتركان في قيامهما على البحث والتفتيش سرا، وفي اعتمادهما على الحواس، وفي أن حكمهما من حيث الحل والحرمة يتبع المقصد منهما، وفي أن الإنسان يمكن أن يقوم بهما لنفسه أو لغيره.
- التجسس غالباً يكون ضد الخصوم والأعداء بدافع درء شرورهم أو إلحاق الضرر بهم، أما التحسس فيكون غالباً مع الأولياء، بدافع جلب الخير لهم أو درء الشر عنهم.
- التجسس والتحسس منه ما هو محرم شرعا، ومنه ما هو مباح بل واجب، فمن المحرم التجسس على اسرار الناس وعوراتهم، والتجسس لصالح العدو، ومن المباح أو الواجب التثبت من المعلومات المتداولة فعلاً، والتجسس على الأعداء والمجرمين وأهل الريب.
- ضوابط التجسس والتحسس تتمثل في الصدق والأمانة، والموهبة، والصبر، والانضباط وكتم الأسرار، أما أهدافهما فتتمثل في تمييز العملاء من غيرهم، ومكافحة الشائعات، والمعلومات المضللة، والحصول على المعلومات وتحليلها:

وأخلص من ذلك إلى أنه يجب عند تداول المعلومات التي لها أثر سلبي خاص أو عام، أن نتعامل معها بطريقة مؤسسية ترتكز على ما يأتي:

١. التروي في التبين والتثبت.
٢. التحليل الدقيق.
٣. تقديم التوصيات لمتخذي القرار لاتخاذ ما يرونه مناسباً.

الفصل الثالث

مرتكزات التبين والتثبت في تداول المعلومات وآثارهما

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: مرتكزات التبين والتثبت في تداول المعلومات.**

ويشمل على أمور:

- أولاً: تجنب اقتفاء ما لا علم به، والتخمين وسوء الظن.
- ثانياً: ترك الخوض في الباطل وفضول الكلام.
- ثالثاً: اعتماد المؤسسية في التبين والتثبت.

- **المبحث الثاني: آثار التبين والتثبت في تداول المعلومات.**

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: الآثار الفردية:
- المطلب الثاني: الآثار المجتمعية.

المبحث الأول

مرتكزات التبين والتثبت في تداول المعلومات

أهم ما يرتكز عليه التبيُّن والتثبت يتمثل إجمالاً فيما يأتي:

- تجنب اقتفاء ما لا علم به، والتخمين وسوء الظن.
- ترك الخوض في الباطل وفضول الكلام.
- اعتماد المؤسسية في التبين والتثبت.

وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

أولاً: تجنب اقتفاء ما لا علم به، والتخمين وسوء الظن

إن تجنب اقتفاء ما لا علم به، والتخمين وسوء الظن من المرتكزات التي يجب أن تقوم عليها علمية التبين والتثبت، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [سورة الأسراء:٣٦] «أي: لا تتبع ما لا تعلم، من قولك: قفوت فلاناً: إذا اتبعت أثره، ومنه قافية الشعر، لأنها تقفو كل بيت، ومنه القبيلة المشهورة بالقافة، لأنهم يتبعون آثار أقدام الناس»[(١)].

والنهي يستلزم الأمر بالتثبت في كل ما يقوله الإنسان ويفعله لأن الإنسان مسؤول عن كل ما يصدر عنه، «فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسئول عما قاله وفعله وعما استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته أن يعد للسؤال جوابا، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله وإخلاص الدين له وكفها عما يكرهه الله تعالى»[(٢)].

---

(١) الشوكاني: **فتح القدير**، ج٣، ص٢٦٩.

(٢) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٤٥٧.

ومن هنا «أجمع العلماء على أن ما لم يتبين ويتيقن فليس بعلم، وإنما هو ظن، والظن لا يغني من الحق شيئاً»[1].

قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [سورة الذاريات: ١٠-١١]. وفي ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ أربعة تأويلات كما يذكر الماوردي: «**أحدها**: لعن المرتابون، قاله ابن عباس. **الثاني**: لعن الكذابون، قاله الحسن. **الثالث**: أنهم أهل الظنون والفرية، قاله قتادة. **الرابع**: أنهم المنهمكون، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً. وقوله: ﴿قُتِلَ﴾ ها هنا، بمعنى لعن، والقتل اللعن. وأما الخراصون فهو جمع خارص. وفي الخرص ها هنا وجهان: **أحدهما**: أنه تعمد الكذب، قاله الأصم. **الثاني**: ظن الكذب، لأن الخرص حزر وظن، ومنه أخذ خرص الثمار»[2].

وقد قرر الرازي في تفسيره للآية أن هناك مسألتين؛ إحداهما لفظية، والثانية معنوية أما اللفظية: فقوله: ﴿سَاهُونَ﴾ يحتمل أن يكون خبراً بعد خبر، والمبتدأ هو قوله: ﴿هُمْ﴾ وتقديره هم كائنون في غمرة ساهون. وأما المعنوية: فهي أن وصف الخراص بالسهو والانهماك في الباطل يحقق ذلك كون الخراص صفة ذم، وذلك لأن ما لا سبيل إليه إلا الظن إذا خرص الخارص وأطلق عليه الخراص لا يفيد نقصا، كما يقال في خراص الفواكه والعساكر وغير ذلك، وأما الخرص في محل المعرفة واليقين فهو ذم، فقال: قتل الخراصون الذين هم جاهلون ساهون، لا الذين تعين طريقهم في التخمين والحزر. وقوله تعالى: ﴿سَاهُونَ﴾ بعد قوله: ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ يفيد أنهم وقعوا في جهل وباطل ونسوا أنفسهم فيه فلم يرجعوا عنه»[3].

---

(١) النمري، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر: **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، السعودية، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج٢، ص٩٩٥.

(٢) الماوردي: **النكت والعيون**، ج٥، ص٣٦٣، ٣٦٤.

(٣) الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج٢٨، ص١٦٣، ١٦٤.

وقد عقب الطاهر بن عاشور بأن هذا البيان ليس «توضيحاً لأنواع الكثير من الظن المأمور باجتنابه، لأنها أنواع كثيرة، فنبه على عاقبتها وتُرك التفصيل، لأن في إبهامه بعثاً على مزيد الاحتياط»[1].

ثم قرر أن اجتناب كثير من الظن يكون «بتعاطي وسائل اجتنابه فإن الظن يحصل في خاطر الإنسان اضطراراً عن غير اختيار، فلا يعقل التكليف باجتنابه وإنما يراد الأمر بالتثبت فيه وتمحيصه والتشكك في صدقه إلى أن يتبين موجبه بدون تردد أو برجحان أو يتبين كذبه فتكذب نفسك فيما حدثتك. وهذا التحذير يراد منه مقاومة الظنون السيئة بما هو معيارها من الأمارات الصحيحة»[2].

وقد سبق الطبري غيره من المفسرين في بيان سر قوله تعالى: « ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [سورة الحجرات:١٢] ولم يقل: الظنّ كله، إذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير، فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النور:١٢] فأذن الله جلّ ثناؤه للمؤمنين أن يظنّ بعضهم ببعض الخير وأن يقولوه، وإن لم يكونوا من قيله فيهم على يقين. وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل»[3].

وهذا يعني «أن بعضاً من الظن ليس إثماً وأنا لم نؤمر باجتناب الظن الذي ليس بإثم لأن ﴿كَثِيرًا﴾ وصف، فمفهوم المخالفة منه يدلّ على أن كثيراً من الظنّ لم نؤمر باجتنابه وهو الذي يبينه ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أي أن بعض الظن ليس إثماً، فعلى المسلم أن يكون معيارُه في تمييز أحد الظنين من الآخر أن يعرضه على ما بينته الشريعة في تضاعيف أحكامها من الكتاب والسنة، وما أجمعت عليه علماء الأمة وما أفاده الاجتهاد الصحيح، وتتبع مقاصد الشريعة، فمنه ظن يجب اتباعه كالحَذر من مكائد العدّو في الحرب، وكالظنّ المستند إلى الدليل

(١) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٢٦، ص٢٥١.

(٢) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٢٦، ص٢٥٢.

(٣) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢٢، ص٣٠٣.

الحاصل من دلالة الأدلة الشرعية، فإن أكثر التفريعات الشرعية حاصلة من الظن المستند إلى الأدلة»[1].

إن كلمة ﴿كَثِيرًا﴾ في الآية الكريمة قد جاءت للتأكيد على وجوب الاحتياط في كل ظن، لمعرفة ما يجب اتباعه وما لا يجب اتباعه، «فإن من الظن ما يباح اتباعه كالظن في الأمور المعاشية، ومنه ما يجب كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات كالواجبات الثابتة بغير دليل قطعي وحسن الظن بالله عز وجل، ومنه ما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالفوا قاطع وظن السوء بالمؤمنين، ويشترط في حرمة هذا أن يكون المظنون به ممن شوهد منه التستر والصلاح وأونست منه الأمانة، وأما من يتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث كالدخول والخروج إلى حانات الخمر وصحبة الغواني الفاجرات وإدمان النظر إلى المرد فلا يحرم ظن السوء فيه وإن كان الظان لم يره يشرب الخمر ولا يزني ولا يعبث بالشباب»[2].

وكلام الألوسي السابق يفتح الباب أما الأجهزة والمؤسسات التي تسهر على أمن المواطن وسلامة المواطنين، ويتضمن أصول الضوابط التي ينبغي أن تحكم عمل هذه الأجهزة في كل وقت وحين.

ويستنتج الباحث مما سبق أن للظن أربعة أوجه:

١. ظن محرم وهو الظن السيء وهو الذي يقوم على غير علم وعلى التوهم أو الهوى والكذب، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [سورة النجم:٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة فصلت:٢٣].

---

(١) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٢٦، ص٢٥٣.

(٢) الألوسي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج١٣، ص٣٠٧.

قال الماوردي: «سوء الظن هو عدم الثقة بمن هو لها أهل، فإن كان بالخالق كان شكاً يؤول إلى ضلال»[(١)].

وقال الهيتمي ووافقه الغزالي: «واعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول، وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب»[(٢)].

٢. ظن مشروع وهو أن تظن الخير بالله وبالمؤمنين وهو الأصل في الفطرة السليمة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [سورة التوبة:١١٨].

وكذلك الواجب على المسلم ظن الخير بأخيه المسلم، فقد قال تعالى: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ [سورة النور:١٢]، وعن عمر بن الخطاب ﷺ: «ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا، ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن» [(٣)]، وأخرج ابن عساكر عن محمد بن سيرين أنه قال: «إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرا، فإن لم تجد له عذرا فقل لعل له عذرا»[(٤)].

٣. ظن مستحب وقد يصل إلى درجة الواجب وهو الظن الذي يكون منك تجاه أعدائك ودينك وأمتك ووطنك، وإليه الإشارة في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: **أدب الدنيا والدين**، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ط، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٨٦.

(٢) الهيتمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر: **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص٣١. الغزالي: **إحياء علوم الدين**، ج٣، ص١٥٠.

(٣) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب: **المتفق والمفترق**، تحقيق: محمد صادق آيدن الحامدي، دمشق، دار القادري، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٣٠٤، ٣٠٥.

(٤) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله: **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج٢٢، ص١٤٩.

﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [سورة النساء:٧١]، قال البهوتي «ولا حرج بظن السوء بمن ظاهره السوء»[١].

وقد قرر ابن حبان أن سوء الظن يستحب من المرء إذا كان بينه وبين شخص عداوة أو شحناء في دين أو دنيا يخاف على نفسه مكره، فحينئذ يلزمه سوء الظن بمكائده ومكره لئلا يصادفه على غرة بمكره فيهلكه[٢].

٤. ظن أمني، وهذا الظن ليس ببعيد عن الذي سبقه إلا أنه مخصص لفئة رجال الأمن والقائمين على المؤسسات الأمنية، ويقدم فيه سوء الظن على حسنه لما فيه من رفع المفاسد المتعلقة بمكانة الدولة وبأمنها.

وفي تصور الباحث أن الظن الأمني يختلف عن الظنون الأخرى من عدة وجوه:

أ. أنه يقوم عليه أناس معنيون ومختصون في هذا الأمر، بتخويل من ولي الأمر، ويكونون ملزمين بمراعاة قواعد وأصول بعضها مشروع وبعضها ـ للأسف ـ قد يكون غير مشروع، وهذا لا يتم اللجوء إليه إلا في حال الاضطرار، وبعد أن تتم الموازنة بين المفاسد المتحققة الوقوع في حال تزاحمها، الأمر الذي يقتضي وجود رجال أمن قد درسوا العلم الشرعي، أو أخذوا دورات في العلوم الإسلامية، بحيث يمكن الرجوع إليهم لتثبيت زملائهم في المسائل المشتبهة، وفي المهمات التي تختلط عليهم فيها الأمور أحيانا، فلكل مقام مقال، ولكل مجال رجال.

---

(١) البهوتى، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس: **كشاف القناع عن متن الإقناع**، بيروت، عالم الكتب، د.ط،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٢، ص١٠٢.

(٢) انظر: البستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ: **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد الرزاق حمزة ومحمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، ص١٢٧.

قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل:٤٣]، يفهم من ذلك «أن من جهل الحكم: يجب عليه سؤال العلماء، والعمل بما أفتوه به»[١]، وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى السؤال عند عدم العلم في الأمر الذي يعترضنا، فعن جابر أنه قال: «خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجرٌ فشجَّهُ في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ قالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء. فاغتسل، فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ فقال: ((**قتلوه؛ قاتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاءُ العِيِّ السؤال! إنما كان يكفيه أن يتيمَّم، وَيعْصِرَ أو يَعْصِبَ؛ ـ شك موسى ـ على جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثم يمسحَ عليها، ويغسلَ سائر جسده**)) »[٢].

ب. يقدم سوء الظن عند تداول معلومة تتعلق بأمن الوطن والمواطنين، ويتم البحث والتحري للوقوف على الحقيقة، نفياً للتهمة أو دفعاً للشرور، ويمكن أن يستأنس رجال الأمن في ذلك بقول الهيتمي: «ومن ثمرات سوء الظن التجسس؛ فإن القلب لا يقتنع بالظن، بل يطلب اليقين فيتجسس»[٣].

لكن سوء الظن هنا ينبغي ألا يترتب عليه إجراء تجاه إنسان ما، لأن الإجراء لا يكون إلا بعد التبين والتثبت، وهذا ما يؤكده النووي في قوله: «يجبُ عليه إذا عرضَ له خاطرٌ بسوء الظن أن يقطعَه، وهذا إذا لم تدعُ إلى الفكر في ذلك مصلحةٌ شرعية، فإذا دعتْ جازَ الفكرُ

---

(١) الشنقيطي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج٢، ص٣٧٩.

(٢) السجستاني، سليمان بن الاشعث: **سنن أبي داود**، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، كتاب الطهارة، باب المجروح يتيمم، حديث رقم: (٣٦٤)، الكويت، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج٢، ص١٥٨، ١٥٩.

(٣) الهيتمي: **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، ج٢، ص٣٢.

في نقيصته والتنقيب عنها، كما في جرح الشهود والرواة وغير ذلك مما ذكرناه في باب ما يباح من الغيبة»[1].

وهذا يعني أن سوء الظن لغير المختصين كرجال الأمن والمكلفين من قبل الدولة بجمع المعلومات، والتعامل معها، وسوسة شيطان، خاصة إن كان المظنون به ثقة. قال الغزالي: «لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته، وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فإنما الشيطان يلقيه إليك، فينبغي أن تكذبه، فإنه أفسق الفساق، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا﴾ [سورة الحجرات:٦]»[2].

ثانياً: ترك الخوض في الباطل وفضول الكلام

لا يمكن أن يتوجه الإنسان إلى التبين والتثبت من المعلومات التي يتم تداولها إذا كان ممن يخوضون في الباطل ويستهويهم فضول الكلام، ومن هنا كان هذا المرتكز في غاية الأهمية؛ لأنه يوفر للإنسان وقته وجهده وطاقته للقيام بما هو أولى.

وقد اغتنم القرآن الكريم حادثة الإفك للتأكيد على هذا المرتكز في قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ [سورة النور:١٥-١٦] أي: تقولون ما لا تعلمون، وتحسبون ذلك يسيرا ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هَيّنا، فكيف وهي زوجة النبي الأمي، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، فعظيم

(١) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف: **الأذكار**، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٣٤٦.

(٢) الغزالي: **إحياء علوم الدين**، ج٣، ص١٥٠.

عند الله أن يقال في زوجة رسوله ما قيل! ولهذا قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[1].

ففي الآية «عتاب لجميع المؤمنين أي: هلا إذا سمعتم حديث الإفك قلتم تكذيباً للخائضين فيه المفترين له ما ينبغي لنا، ولا يمكننا أن نتكلم بهذا الحديث، ولا يصدر ذلك منا بوجه من الوجوه، ومعنى قوله ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ التعجب من أولئك الذين جاءوا بالإفك»[2].

ثم قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النور:١٢]، وهذا عتاب للذين خاضوا في الباطل ولم يتجنبوا فضول الكلام.

قال الشوكاني: «﴿لَّوْلَآ﴾ هذه هي التحضيضية تأكيداً للتوبيخ، والتقريع، ومبالغة في معاتبتهم أي: كان ينبغي للمؤمنين حين سمعوا مقالة أهل الإفك أن يقيسوا ذلك على أنفسهم، فإن كان ذلك يبعد فيهم، فهو في أمّ المؤمنين أبعد»[3].

ولهذا كان من الواجب نصح من يخوض في فضول الكلام وتذكيره بالله عز وجل، وأن يضع نفسه مكان المتكلم فيه، فقد أخرج الطبري في تفسيره عن بعض رجال بني النجار أن: «أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له امرأته أمّ أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أمّ أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك، قال: فلما نزل القرآن، ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [سورة النور:١١]وذلك حسان وأصحابه الذين

---

(١) انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج٦، ص٢٩.

(٢) الشوكاني: **فتح القدير**، ج٤، ص١٧

(٣) **المصدر السابق**: ج٤، ص١٥.

قالوا ما قالوا، ثم قال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [سورة النور:١٢]... الآية: أي: كما قال أبو أيوب وصاحبته»[(١)].

وينبه الباحث إلى أن العاملين في المؤسسات المعنية بجمع المعلومات وبالتبين والتثبت منها ملزمون بترك الخوض في الباطل وتجنب فضول الكلام أثناء قيامهم بمهامهم، إذ قد يطلع بعضهم على أمور خاصة بإنسان تتم متابعته في أمر ما، فلا يجوز الخوض في تلك الأمور ولا إطلاع الناس عليها، وإنما التحفظ عليها في حدود ضيقة جداً لا يطلع عليها إلا المخولون لذلك، فقد يستفاد من هذه المعلومة مستقبلاً.

ومن أمثلة ذلك أنه قد يتم أثناء تتبع شخص في مسألة تتعلق بالتجسس على بلده لصالح هيئة أو مؤسسة أجنبية، وأثناء مراقبته للتأكد من الأمر، وجدت الأجهزة المعنية أنه يقيم علاقات غير شرعية مع بعض النساء، فهنا يجب أن يبقى الأمر في أضيق نطاق ممكن، وأن يحظى بالسرية الكاملة، وألا يتم أخذ خطوات للتثبت من هذه المعلومة إلا في حالة ترشيحه لوظيفة تؤثر تلك المعلومة على أهليته لها، فقد يتم ترشيحه لأن يكون أستاذاً في الجامعة أو مديرا لمستشفى أو هيئة حكومية فيها عدد من النساء اللائي يعملن تحت إمرته، أو سفيراً لبلده، فيكون عرضة للوقوع في بعض المحظورات التي تؤثر على سمعة البلد الذي يمثله، فيجب عند ترشيحه للوظيفة أن يعاد النظر في الأمر بحيث يتم التيقن من أن إقامة الرجل للعلاقات غير الشرعية أمر طبيعي في شخصيته، وأنه لم يقلع عن هذا الأمر، وبحيث لا تخضع عملية تقييم أخلاقه والتزامه لنزوة عابرة حدثت لظروف طارئة، أو لخطيئة يمكن أن يكون قد أقلع عنها، وتاب إلى الله تعالى منها.

وهذا يعني أنه لا ينبغي اتخاذ خطوات التثبت إلا عند اتخاذ قرار بأهلية هذا الشخص أو عدم أهليته للوظيفة، على أن يبقى هذا الأمر في طي الكتمان؛ صيانة للأعرض، وسترا للمسلمين، وحرصا على صورة المجتمع من التشوه.

---

(١) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٩، ص١٢٩.

فلا تسولن لأحد نفسه أن ينشر خطيئة لأحد، أو أن يبتز شخصا بذنب ارتكبه، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النور:١٩] وقال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»(١).

ثالثاً: اعتماد المؤسسية في التبين والتثبت

إن التبين والتثبت في تداول المعلومات ينبغي أن يعتمد على المؤسسية، أي على جهات رسمية يحكمها في العمل ميثاق قانوني وأخلاقي صارم، إذ لا يمكن أن ينهض كل فرد بالتبين والتثبت من كل معلومة يتم تداولها في المجتمع.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة:١٨٩]. يذكر البيضاوي في تفسيره لتلك الآية عن الأنصار أنهم «لما سألوا عمّا لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة، عقب بذكره جواب ما سألوه؛ تنبيهاً على أن اللائق بهم أن يسألوا أمثال ذلك، ويهتموا بالعلم بها، أو أن المراد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال بتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه، والمعنى: وليس البر بأن تعكسوا مسائلكم، ولكن البر بر من اتقى ذلك، ولم يجسر على مثله، ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ إذ ليس في العدول بر، فباشروا الأمور من وجوهها ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في تغيير أحكامه والاعتراض على أفعاله ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكي تظفروا بالهدى والبر»(٢).

---

(١) السجستاني، سليمان بن الاشعث: **سنن أبي داود**، كتاب الآداب، باب في الغيبة، حديث رقم: (٤٨٨٠)، بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، د.ت، ج٤، ص٢٧٠. (وقال الألباني: حسن صحيح).

(٢) البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص١٢٧.

وإنما أمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها لما فيه من السهولة عليهم، وهذه قاعدة من قواعد الشرع، إذ ينبغي للمرء أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمرا من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه، فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود[1].

وعلى هذا يجب أن تكون في المجتمع عدة مؤسسات معنية بتنظيم حركة تداول المعلومات، وبالتبين والتثبت منها، درءًا للشك والريبة، ودفعاً للنزاع والفشل.

ولا شك أن الرجوع للجهة المخولة أمر رباني ومنهج إسلامي حث عليه القرآن الكريم، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [سورة النساء:٨٣]، فهذا النص الكريم فيه «تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة، وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولَّى مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. وفيه النهي عن العجلة والتسرع في نشر الأمور من حين سماعها، والأمر

(١) انظر: السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٨٨.

بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقْدِم عليه الإنسان؟ أم لا فيحجم عنه؟»[1].

وقد كان الصحابة في غاية الحرص على الالتزام بهذه المعاني، يشهد لذلك ما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرأنِيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فتبصرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ. فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنِيها! فقال رسول الله ﷺ: ((**أرسله، اقرأ يا هشام**))، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: ((**كذلك أنزلت**))، ثم قال: ((**اقرأ يا عمر**))، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: ((**كذلك أنزلت. إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه**))[2].

ويلاحظ أن عمر بن الخطاب ﷺ عندما تبين بأن هناك قراءة جديدة للقرآن لم يتعلمها من الجهة المسؤولة عن بلاغ السماء وهو الرسول ﷺ، ولم يسمعها من قبل، انطلق للجهة المخولة بالنفي والإثبات لكي يتثبت من الأمر قبل أن يتداولها.

وقد ذكرت عدة تفاسير[3]، قصة نقل زيد بن أرقم معلومات فيها تحريض من رأس النفاق عبد الله بن أبيّ بن سلول على الرسول ﷺ وأصحابه ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ حيث

---

(١) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص١٩٠.

(٢) **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم: (٤٩٩١)، ص٩٥٦.

(٣) **تفسير الطبري**: (٤٠٥/٢٣). الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٤، ص٥٤٢. الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري: **تفسير القرآن**، تحقيق: محمود محمد عبده، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ط١، ج٣، ص٣١٢. الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب: **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، القاهرة، مطبعة بولاق الأميرية، د.ط، ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م، ج٤، ص٢٩٣.

قال: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ. ثم أقبل على من حضر من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم! أحللتموهم بلادكم، ونزلوا منازلكم، وآسيتموهم في أموالكم حتى استغنوا. أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم، ثم لم ترضوا ما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم- أغراضا للمنايا فقتلتم دونهم، فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا، وكان زيد بن أرقم حاضرا -وهو غلام لم يبلغ أو قد بلغ- فحدّث رسول الله ﷺ بذلك، وعنده نفر من المهاجرين والأنصار، فتغير وجهه ثم قال: ((**يا غلام، لعلك غضبت عليه؟**)) قال: لا والله، لقد سمعت منه. قال: ((**لعله أخطأ سمعك!**)) قال: لا يا نبي الله. قال: ((**فلعله شبه عليك؟**)) قال: لا والله، لقد سمعتُ منه يا رسول الله. وشاع في العسكر ما قاله ابن أبيّ، حتى ما كان للناس حديث إلا هو. وأنّب جماعة من الأنصار زيد بن أرقم، فقال: ـ في جملة كلام ـ وإني لأرجو أن ينزل الله على نبيه، حتى تعلموا أني كاذب أم غيري. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله! مر عباد بن بشر فليأتك برأسه. فكره ذلك وقال: ((**لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه**))، وبلغ الخبر ابن أبيّ، فحلف بالله ما قال من ذلك شيئا، ثم مشى إلى رسول الله ﷺ وحلف بالله ما قال[1].

ويلاحظ فيما سبق جملة من الأمور المهمة:

أولها: إدراك زيد بن أرقم رضي الله عنه لدور المؤسسة النبوية، ولهذا قام بنقل المعلومة إليها، ولم يروجها بين الناس.

ثانيها: تأكيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عدم تجاوز تلك المؤسسة في اتخاذ القرار المناسب، فلم يأمر بقتل عبد الله بن أبي، ولكنه أشار على الرسول ﷺ بأن يأمر هو بذلك.

---

(١) انظر: المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر: **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج١، ص٢٠٧، ٢٠٨.

ثالثها: أن الصحابي عبد الله بن عبدالله بن أبي ﷺ لم يتخذ قراراً بمعاقبة أبيه بمعزل عن مؤسسة السلطة في الدولة، ولكن جاء للنبي ﷺ وقال له: إن كنت تريد قتل أبي فمرني أحمل لك رأسه[1].

رابعها: أن العمل المؤسسي لا يقوم على الاستعجال، ولكنه ينبني على التأني والصبر، وهذا ما فعله الرسول ﷺ مع ابن أبي بالرغم من مواقفه الكثيرة التي تبين بغضه للرسول ﷺ وللدين وللمسلمين، ومنها ما يأتي:

- قال ابن سلول للرسول ﷺ عندما أقبل عليه يوماً: «إليك عني، فوالله، لقد آذاني نتن حمارك، قال رجل من الأنصار: والله، لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك»[2].
- وجاء عند الهيثمي عن أبي هريرة قال: «مر رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي بن سلول وهو في ظل، فقال: قد غبر علينا بن أبي كبشة، فقال ابنه عبد الله بن عبد الله: والذي أكرمك، والذي أنزل عليك الكتاب، لئن شئت لآتينك برأسه، فقال النبي ﷺ: ((**لا، ولكن بر أباك، وأحسن صحبته**)) رواه الطبري في الأوسط، وقال تفرد به زيد بن بشر الحضرمي. قلت: وثقه ابن حبان، وبقية رجاله ثقات»[3]، وقد حسنه الألباني[4].

---

(١) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج٣، ص٣٠١.

(٢) **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ﷺ إلى الله، وصبره على أذى المنافقين، رقم الحديث: (١٧٩٩)، ص٨٠٢.

(٣) الهيثمي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة المقدسي، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج١، ص١٠٩.

(٤) الألباني، أبو عبد الرحمن ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، الرياض، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج٧، ص٦٧٦، ٦٧٧.

والاعتماد المؤسسي في التبين والتثبت يستلزم ما يأتي:

١. أن يكون المتبين والمتثبت من منتسبي المؤسسات والأجهزة المصرحة من قبل ولي أمر البلاد أو من المخولين لهذا الأمر.

٢. عدم الشروع في التبين والتثبت الأمني إلا بأوامر وتخويل من المسؤولين، فلا يحق لأي كان أن يستغل وظيفته أو يبادر بفهمه كأن يرى أن هذا في الصالح العام، أو بهوى لتتبع أمر شخصي دون إيعاز من المسؤولين المخولين بإعطاء الأوامر، فهذه أمانات يجب صيانتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [سورة النساء:٥٨]، يقول السعدي: «الأمانات كل ما ائتمن عليه الإنسان وأمر بالقيام به. فأمر الله عباده بأدائها أي: كاملة موفرة، لا منقوصة ولا مبخوسة، ولا ممطولا بها، ويدخل في ذلك أمانات الولايات والأموال والأسرار؛ والمأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله»(١).

٣. عدم تجاوز المعايير الإنسانية، والنظر إلى الجانب الفطري للإنسان وأن الخطأ طبيعة فيه، وأن خير الخطائين التوابين، فقد يرجع العاصي ويتوب ويتطهر، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٢٢].

٤. السرية وعدم نشر هذه المعلومات وتداولها، وألا تتعدى توثيقها الأمني، ولا يطلع عليها من المسؤولين إلا من كان مكلفاً أو له صلاحية تتيح له ذلك، وهذا «مبدأ مهم يقصد به ألا تمنح المعلومات السرية إلا لمن تحتم طبيعة واجبه المكلف به استخدام هذه المعلومات السرية، وتحجب عمن سواه، مهما كانت درجة حرصه على الدولة، ومهما تعاظم مقدار الثقة فيه»(٢).

---

(١) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص١٨٣.

(٢) فرحات: **تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور**، ص٥١.

٥. ذكر نتيجة التتبع بصدق وأمانه دون زيادة أو نقصان، فلا يذكر ما يتوهم إلا من باب التحليل أو من باب إبداء وجهة النظر المنضبطة بالتقوى والعدل، مع تحديد نسبة التثبت وهل هي في الدرجة القصوى أم أقل من ذلك.

٦. بعض الأمور ينبغي أن تخضع لمراحل إضافية من التثبت، حتى ولو أعلن المسؤول عن المتابعة أنه قد بلغ درجة اليقين في تثبته، ويدل على ذلك أن الهدهد ـ وهو أحد جنود جمع المعلومات ـ بعد أن قال لسليمان عليه السلام: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝٢٢ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة النمل:٢٢-٢٤]. كان رد سليمان أنه سيتثبت من صدق الهدهد، ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [سورة النمل:٢٧] أي سنتثبت في الخبر الذي جئتنا به لنعرف إن كنت صادقا أم كاذبا فيه[(١)]. وهكذا نجد أن سليمان عليه السلام لا يأخذ بالمعلومة التي أوردها الهدهد بالرغم من ادعائه بأنها قد بلغت حد اليقين، بل يضع قوله موضع التحقيق والاختبار، وهكذا الأمم العاقلة الرشيدة، لا يهان فيها الصغير، ولا يظلم فيها الكبير[(٢)].

٧. عدم التصرف في أي وثائق، أو أموال، أو أي أمر حصل عليه جراء البحث والتحري عن المعلومة المتداولة إلا بإيعاز أصحاب القرار؛ لأنه ملك للدولة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة:١٩٠]. يقول ابن كثير: «ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي»[(٣)].

---

(١) انظر: الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٩، ص٤٥٠.

(٢) انظر: طنطاوي، الدكتور محمد سيد: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، القاهرة، دار نهضة مصر، ط١، د.ت، ج١٠، ص٣٣٣.

(٣) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج١، ص٥٢٤.

ومعلوم أن كثيراً من الموظفين والمسؤولين قد توضع بين يديه بحكم عمله بعض الهدايا أو الممتلكات، فهذا لا يحق له أن يأخذ منها شيئاً، وقد صح عن النبي ﷺ أنه بعث رجلاً من الأزد ـ من بني أسد ـ لمهمة رسمية وعندما رجع للمؤسسة المسؤولة، والتي ابتعثته، أعطاهم ما كانوا ينتظرون، وأخذ هدية أهديت له أثناء مهمته، وكأن هذا حق له دون إذن وأمر، وقال: هذا لكم وهذا أهدي لي، فقام النبي ﷺ على المنبر.

قال سفيان أيضاً: فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((**ما بال العامل نبعثه فيأتي يقول هذا لك وهذا لي، فهلا جلسَ في بيت أبيه وأمه فينظر أيُهْدَى له أم لا، والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرًا له رُغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه: ألا هل بلغت ثلاثاً**))[1].

وفي ذلك تأكيد من الرسول ﷺ على حرمة أخذ ما يهدى لصاحب المهمة، ولهذا يجب عليه أن يسلمها.

(١) **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب هدايا العمال، رقم الحديث: (٧١٧٤)، ص١٣٢٤.

المبحث الثاني

آثار التبين والتثبت في تداول المعلومات

المطلب الأول: الآثار الفردية

إن التبين والتثبت من المعلومات التي يتم تداولها تكون له آثار فردية تتمثل فيما يأتي:

- **تحقيق الطمأنينة والراحة النفسية:**

من آثار التبين والتثبت الطمأنينة، والرضا وعدم الندم، وقد بين الله تعالى ذلك في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [سورة الحجرات:٦]، ومن هذه الآية التي هي صلب البحث وعموده، يتعلم الإنسان الطريقة المثلى في كيفية تلقي المعلومات، ثم كيفية التعامل معها، وهذا يشمل الأنباء ويشمل الخواطر المترتبة عليها، وكأن الآية تشير إلى أنه «إن جاءكم خاطرُ سوء بنبأ سوءٍ فتبيّنوا وتثبّتوا، ولا تُبادروا بإظهاره، خشية أن تُصيبوا قوماً بجهالة، فتظنُّوا بهم السوء، وتقعوا في الغيبة، فتُصبحوا على ما فعلتم نادمين، فالمنافق قلبه على طرَف لسانه، إذا خطر فيه شيء نطق به، فهذا هالك، والمؤمن لسانه من وراء قلبه، إذا خطر شيءٌ نظر فيه، ووَزَنه بميزان الشرع، فإن كان فيه مصلحة نطق به، وإلا ردَّه وكتمه، فالواجبُ: وزن الخواطر بالقسطاس المستقيم، فلا يُظهر منها إلا ما يعود عليه منفعته»[(١)].

وهذا يحقق الشعور بالأمان النفسي؛ لأن الأفراد يشعرون أن أي معلومات يتم تداولها بشأنهم لن تكون عرضة للقبول، وسيتحرج الآخرون من تداولها، وبالتالي لن يؤاخذوا بها إلا بعد التبين والتثبت.

ولهذا وجدنا القرآن الكريم يحذر من مغبة حب إشاعة فواحش الأقوال والأفعال، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة النور:١٩].

---

(١) الحسني: **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج٣، ص٢٠٠.

ومعنى: أن تشيع الفاحشة أن يشيع خبرها، لأن الشيوع من صفات الأخبار والأحاديث كالفشو وهو: اشتهار التحدث بها، ولهذا يتعين تقدير مضاف، أي أن يشيع خبرها[١]. هدّد سبحانه وتعالى القاذفين، ومن أراد أن يتسامع الناس بعيوب المؤمنين[٢].

وجعل الوعيد على المحبة لشيوع الفاحشة في المؤمنين تنبيها منه تعالى على أن محبة ذلك تستحق العقوبة؛ لأنها تدل على خبث النية نحو المؤمنين، ومن شأن تلك الطوية ألا يلبث صاحبها كثيرًا حتى يصدر عنه ما هو محب له، أو يسر بصدور ذلك من غيره، فالمحبة هنا كناية عن التهيؤ لإبراز ما يحب وقوعه، ولهذا كان الوعيد عليها شديدا[٣].

إن مما يزع الناس عن المفاسد تهيبهم وقوعها، وكراهتهم سوء سمعتها، وهذا يصرف تفكيرهم عن تذكرها فضلا عن الإقدام عليها رويدا رويدا حتى تنسى وتنمحي صورها من النفوس، إما إذا انتشر بين الأمة الحديث بوقوع شيء من الفواحش فإن الخواطر تتذكرها، ويخف وقع خبرها على الأسماع فيدب بذلك إلى النفوس التهاون بوقوعها وخفة وقعها على الأسماع، فلا تلبث النفوس الخبيثة أن تقدم على اقترافها وبمقدار تكرر وقوعها وتكرر الحديث عنها تصير متداولة، هذا إلى ما في إشاعة الفاحشة من لحاق الأذى والضرر بالناس ضررا متفاوت المقدار على تفاوت الأخبار في الصدق والكذب، ولهذا ذيل الله تعالى هذا الأدب الجليل بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي يعلم ما في ذلك من المفاسد فيعظكم لتجتنبوا وأنتم لا تعلمون فتحسبون التحدث بذلك لا يترتب عليه ضرر[٤].

وإذا كان هذا الوعيد الشديد، لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك من إقدام الإنسان على إظهار فواحش الأخبار ونقلها؟ ثم الترويج لها بين الناس[٥].

---

(١) انظر: أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، ج٥، ص١٦٣.

(٢) انظر: الشوكاني: **فتح القدير**، ج٤، ص١٧.

(٣) بتصرف: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٨، ص١٨٤.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص١٨٥.

(٥) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٥٦٣.

- **القناعة والوصول إلى وجه الصواب في الأمر:**

ومن آثار التبين والتثبت القناعة والوصول للحق والصواب في الأمر، وهذا ينأى بالناس عن الوقوع في الأخطاء، واتباع وساوس الشيطان، وقد مر بنا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء:٨٣].

وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا شَيْئًا مِنَ الْأُمُورِ فِيهِ أَمْنٌ نَحْوَ ظَفَرِ الْمُسْلِمِينَ وَقَتْلِ عَدُوِّهِمْ، أَوِ خَوْفٍ وَهُوَ ضِدُّ هَذَا أَظْهَرُوهُ وَتَحَدَّثُوا بِهِ قَبْلَ أَنْ يَقِفُوا عَلَى حَقِيقَتِهِ، وقد قِيلَ: كَانَ هَذَا يحدث مِنْ ضَعَفَةِ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُفْشُونَ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ ويظنون أنهم لا شيء عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ. وقيل: هو فِي الْمُنَافِقِينَ[1].

ويجوز أن يكون الكلام في جمهور المسلمين من غير تعيين لعموم العبرة، إذ من خبر أحوال الناس يعلم أن الإذاعة بأحوال الأمن والخوف ليست من دأب المنافقين خاصة، بل هي مما يلغط به أكثر الناس، وإنما تختلف النيات، فالمنافق يذيع لأجل الضرر، وضعيف الإيمان قد يذيع ما يرى فيه الشبهة، استشفاء مما في صدره من الحكة، وأما غيرهما من عامة الناس فيولعون بهذه الأمور لمحض الرغبة في كشف أسرارها، أو لما عساه ينالهم منها، فخوض العامة في السياسة وأمور الحرب والسلم، أمر معتاد، وهو ضار جدا إذا شغلوا به عن عملهم، ويكون ضرره أشد إذا وقفوا على أسرار ذلك وأذاعوا به، وهم لا يستطيعون كتمان ما يعلمون، ولا يعرفون كنه ضرر ما يقولون، وأضره علم جواسيس العدو بأسرار أمتهم، ومثل أمر الخوف والأمن وسائر الأمور السياسية والشئون العامة، التي تختص بالخاصة دون العامة[2].

---

(١) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج٥، ص٢٩١.

(٢) رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني: **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٥، ص٢٤٢.

والضمير في رَدُّوهُ عائد على الأمر، وفي ومِنْهُمْ يحتمل أن يعود على الرَّسُولِ وأُولِي الْأَمْرِ، ويحتمل أن يعود على الجماعة كلها، أي لعلمه البحثة من الناس، وقوله تعالى: وجملة وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، خطاب لجميع المؤمنين باتفاق من المتأولين[1].

وفي أولي الأمر قولان: أحدهما: أنهم ذوو العلم والرأي منهم. والثاني: أنهم أمراء السرايا، وهؤلاء رجحوا هذا القول على الأول، قالوا لأن أولي الأمر الذين لهم أمر على الناس، وأهل العلم ليسوا كذلك، إنما الأمراء هم الموصوفون بأن لهم أمرا على الناس. وأجيب عنه: بأن العلماء إذا كانوا عالمين بأوامر الله ونواهيه، وكان يجب على غيرهم قبول قولهم لم يبعد أن يسموا أولي الأمر من هذا الوجه، والذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ [سورة التوبة:١٢٢] فأوجب الحذر بإنذارهم، وألزم المنذرين قبول قولهم، فجاز لهذا المعنى إطلاق اسم أولي الأمر عليهم[2].

أما جملة ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ فجاءت للإيذان بأنه ينبغي أن يكون قصدهم برده إليهم استكشافُ معناه واستيضاحُ فحواه، أي لعَلِمه أولئك الرادون الذين يستنبطونه، أي يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيرَه، ﴿مِنۡهُمۡ﴾ أي من جهة من يتم رد الأمر إليهم، فلم يقَعْ ما وقع من الاشتباه وتوهّمِ الاختلافِ، وقيل لعَلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدِها[3].

---

(١) انظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج٢، ص٢٠٨.

(٢) بتصرف الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي: **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث، ط٣، ١٤٢٠هـ، ج١٠، ص١٥٣.

(٣) انظر: أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، ج٥، ص١٦٣.

وثمرة كل ما أورده المفسرون في الآية أنه يجب كتم ما يضر إظهاره المسلمين، وأن إذاعته قبيحة، وأنه ينبغي ألا يخبر بما لم يعرف صحته، وعلى أنه يلزم الرجوع إلى أولي الأمر في كل شأن يختصون بالنظر فيه[1].

- **تجنب الوقوع في الإثم:**

ومن آثار التبين والتثبت، تجنب الوقوع في الإثم، يقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا**﴾ [سورة الإسراء:٣٦]، «أي: لا تقل ما لم تعلم، ولا تسمع اللغو، ولا تنظر إلى الحرام، ولا تحكم على الظن، وأنت مسؤول عن الكلام باللسان، والتسمع بالسمع، والتبصر بالبصر على وجه الإخبار، وهو من جوامع الكلم»[2].

ولا شك أن التبين والتثبت يجعل الإنسان حذرا في تداول ما يطرق سمعه، وهذا ينأى به عن الوقوع في الكذب، لأن تداول كل ما يُسْمَعُ يوقع الإنسان في الكذب عاجلا أم آجلا، وقد أشار الرسول ﷺ إلى ذلك في قوله: ((**كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع**))[3]، ذلك «أن الإنسان إذا صار يحدث بكل ما سمع من غير تثبت وتأن، فإنه يكون عرضة للكذب، وهذا هو الواقع، ولهذا يجيء إليك بعض الناس يقولون: صار كذا وكذا، ثم إذا بحثت وجدت أنه لم يكن، أو يأتي إليك ويقول: قال فلان كذا وكذا، فإذا بحثت وجدته لم يقل»[4].

إن الإنسان إذا كان على قناعة بأن كل ما يقوله الناس صدق فإنه لا يتثبت، فإذا حدث بكل ما سمع فإنه لا محالة سيقع في الكذب، وإن لم يتعمد لكن التعمد شرط الإثم[5]،

---

(١) انظر: القاسمي: **محاسن التأويل**، ج٣، ص٢٣٦.

(٢) بتصرف: السمرقندي: **بحر العلوم**، ج٢، ص٢٦٨.

(٣) **صحيح مسلم**: المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، رقم الحديث: (٥)، ص١٥.

(٤) العثيمين، محمد بن صالح: **شرح رياض الصالحين**، الرياض، دار الوطن، د.ط، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج٦، ص١٨٦.

(٥) الحدادي، محمد عبد الرؤوف بن زين العابدين: **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، ج٥، ص٢.

ولهذا قال شيخ الإسلام: «كثير من الناقلين ليس قصده الكذب، لكن المعرفة بحقيقة أقوال الناس، من غير نقل ألفاظهم وسائر ما به يعرف مرادهم قد يتعسر على بعض الناس، ويتعذر على بعضهم»[(١)].

- **تقديم النصح والإعراض عن الجاهلين:**

ومن آثار التبين والتثبت الفردية تقديم النصح والإعراض عن الجاهلين، وهذه قيمة أخلاقية رفيعة أشار الله تعالى إليها في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٩٩].

يقول ابن عاشور: «وقد جمعتْ هذه الآية مكارم الأخلاق لأن فضائِل الأخلاق لا تعدُو أن تكون عفواً عن اعتداء فتدخل في ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾، أو إغضاءً عما لا يلائم فتدخل في ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾»[(٢)].

والإعراض يتأتى في حال عناد المنصوح وتعاليه بسبب الكبر والعزة بالإثم، وهذه النوعية من الناس مذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [سورة البقرة:٢٠٦]، أي: «إذا وُعظ هذا الفاجر في مقاله وفعاله، وقيل له: اتق الله، وانزع عن قولك وفعلك، وارجع إلى الحق امتنع وأبى، وأخذته الحميَّة والغضب بالإثم، أي: بسبب ما اشتمل عليه من الآثام»[(٣)]. وقد قيل: كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَقُولَ لَهُ أَخُوهُ: اتَّقِ اللَّهَ، فَيَقُولُ له: عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، مِثْلُكَ يُوصِينِي[(٤)].

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام: **منهاج السنة**، الرياض، دار الفضيلة، د.ط، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٣، ص٦٩٧.

(٢) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٩، ص٢٩٩.

(٣) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج١، ص٥٤٦.

(٤) انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج٣، ص١٩.

وسياق هذه الآية يشتمل على جملة من الأصول المهمة، أذكرها فيما يأتي:

أ. أن جميع الكلام الذي يتم تداوله ليس بالضرورة أن يكون مبنيا على أسس صحيحة، حتى وإن كان منسقاً ومرتباً.

ب. بعض الناس يملك القدرة على ترتيب الكلام وتنسيقه بحيث يسحرك أسلوبه، فعن عبد الله ابن عمر ﷺ أنه قال: قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله ﷺ: ((**إن من البيان لسحرا**))[1]، ولكن ليس كل البيان الساحر صحيح، ويمكن البناء عليه، وهذا ما يفيده سياق الآية السابقة، الذي وإن كان الخطاب فيه للرسول ﷺ إلا أنه يجوز أن يكون لغير معين ليعم كل مخاطب تحذيرًا للمسلمين من أن تروج عليهم حيل المنافقين، وتنبيه لهم إلى استطلاع أحوال الناس، وبيان أن ذلك أمر لا بد منه[2].

ج. ليس كل الناس مؤهلا لقبول النصح والإرشاد، فهناك طبائع فاسدة بسبب الكبر والاعتزاز بالإثم.

د. إن من الفساد الكبير الترويج للمعلومات الكاذبة أو الضارة؛ لأن أثر الكلمة في الإفساد أشد من العمل.

المطلب الثاني: الآثار المجتمعية

إن للتبين والتثبت آثارًا إيجابية كثيرة على المجتمع، ومنها ما يأتي:

١. حفظ روح الإخاء والمحبة:

إن للتبين والتثبت من المعلومات المتداولة في المجتمع أثر بالغ في حفظ روح الإخاء والمحبة بين الناس، حيث تجد الجميع حريصا على دفع كل معلومة سلبية، وبيان ضررها، واستحضار قيمة عدم التدخل فيما لا يعنيهم، لأنها من حسن إسلام المرء بحسب حديث

---

(١) **صحيح البخاري**، كتاب الطب، باب إن من البيان سحرا، رقم الحديث: (٥٧٦٧)، ص١٠٨٩.

(٢) انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٢، ص٢٦٦.

الرسول ﷺ[1]، فإن كان ولابد من التدخل في الأمر فإنهم يطلبون التبين ثم التثبت في دائرة أهل الاختصاص ما أمكن، كل ذلك وهم يعيشون في ظلال قول الرسول ﷺ: ((**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى**))[2]، وفي ظلال قوله ﷺ : ((**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**))[3].

ثم إن مصلحة المجتمع تقدم على مصلحة الفرد، ففي حال ثبت لهم صدق معلومة سلبية تؤثر على تماسك المجتمع، أو تضر بمصالحه، أو يكون فيها عدوان على قيمه وهويته وحقوق الناس فيه؛ فإنهم يبادرون إلى الأخذ على يد الفرد، مصداقا لقول الرسول ﷺ: ((**انصر اخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً فكيف أنصره؟ قال: تحجزه، أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره**))[4].

لكن ينبغي التنبه إلى أن عملية الأخذ على يد المخطئين لا يمكن أن تترك للأفراد، وإنما تتولاها أجهزة الدولة المعنية في إطار من العدل والإنصاف وعدم التجاوز؛ لأن الله تعالى لا يحب الظلم ولا يرضاه، ففي الحديث القدسي: ((**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**))[5]، ثم في ضوء استبقاء المخطئين في الدائرة الإسلامية بُغْيَةَ إصلاحهم، وقطع الطريق على المتربصين من الأعداء في احتوائهم ليكونوا شوكة في حلق المجتمع، وخنجرا يطعنونه به، وقصة الثلاثة الذين خلفوا، فعاقبهم الله تعالى حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ثم تاب عليهم فيها دلالات كثيرة يجب الوقوف عليها.

---

(١) انظر: **سنن الترمذي**، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في إن من البيان سحراً، حديث رقم: (٢٠٢٨)، ص٥٥٨.

(٢) **صحيح البخاري**، كتاب الآداب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث: (٦٠١١)، ص١١٢٥.

(٣) **صحيح البخاري**، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث: (٢٤٤٢)، ص٤٢٨.

(٤) **صحيح البخاري**، كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه: إنه أخوه، وإذا خاف عليه القتل أو نحوه، رقم الحديث: (٦٩٥٢)، ص١٢٨٤.

(٥) **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧)، ص١١٢٠.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة التوبة:١١٨].

أخرج البخاري عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: سمعت كعب بن مالك يقول: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غزاها ﷺ في حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا، ومفازا وعدوا كثيرا، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئا، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئا، فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئا، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئا، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه النفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال: وهو جالس في القوم بتبوك: ((**ما فعل كعب؟**)). فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه، ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا، فسكت رسول الله ﷺ. قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبدًا بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادما، وكان إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد، فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: «تعال».

فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ((**ما خلفك، ألم تكن قد ابتعت ظهرك**)). فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا، ولكني والله، لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق، تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله، ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: ((**أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك**)). فقمت، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فو الله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان، قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين، قد شهدا بدرا، فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه، فو الله ما رد علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار، قال: فبينا أنا أمشي بسوق المدينة، إذا نبطي من أنباط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني

أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان، ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرته بها، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها؟ أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فتكوني عندهم، حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله: إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: ((**لا، ولكن لا يقربك**)). قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره، ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؟ فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب؟ فلبثت بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ، أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجدًا، وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض إلي رجل فرسا، وسعى ساع من أسلم، فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبي، فكسوته إياهما، ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فيتلقاني الناس فوجا فوجا، يهنوني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ، قال: رسول الله ﷺ، وهو يبرق وجهه من السرور: ((**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**))، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: ((**لا، بل**

من عند الله)). وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله ﷺ: ((**أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك**)). قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، فقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا، ما بقيت. فو الله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت[1].

إن هذه القصة فيها دلالات كثيرة على تماسك المجتمع المسلم في أحلك الظروف، وفي الوقت الذي يكون فيه أي مجتمع أكثر استعداد للتأثر بالمعلومات السلبية المتداولة، ومن أهم تلك الدلالات ما يأتي:

١. أن كعب بن مالك لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها، وأن المسلمين كانوا مع رسول الله ﷺ كثير في غزوة تبوك.
٢. تخلف كعب بسبب التهاون في التجهز، وكان إذا خرج في الناس بعد خروج الجيش فطاف فيهم، أحزنه أنه لا يرى إلا رجلا من المنافقين، أو رجلا من الضعفاء.
٣. أن الرسول الله حين بلغ تبوك سأل ((**ما فعل كعب**))؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه، ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا، فسكت ﷺ.
٤. أن كعب بن مالك قد أجمع في نفسه أن يصدق رسول الله ﷺ في سبب تخلفه وألا يكذب عليه أبدا.
٥. حرص الرسول ﷺ على الثبت من أمر كعب فقال له: «تعال» فجاء حتى جلس بين يديه، فقال له: ((**ما خلفك، ألم تكن قد ابتعت ظهرك**)). فقال كعب: والله، ما

(١) البخاري، **صحيح البخاري**: كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، رقم الحديث: (٧٩)، ص٧٩٩-٨٠٢.

كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: ((**أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك**)).

٦. استجاب المجتمع كله للإجراء الذي اتخذه رسول الله ﷺ حتى قال كعب: فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا؛ حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة.

٧. أن ملك غسان قد أرسل كتابا إلى كعب جاء فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان، ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك.

٨. أن كعب لم يفرح برسالة ملك غسان بل اعتبرها مصيبة وبلاء، فقال: لما قرأها: وهذا أيضا من البلاء، وتيمم بها التنور فسجره بها.

٩. لم يخرج على الانضباط المجتمعي أحد حتى من زوجات الذين تخلفوا، فقد أمرهم الرسول ﷺ باعتزال نسائهم، فجاءت امرأة هلال بن أمية، فقالت: يا رسول الله: إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: ((**لا، ولكن لا يقربك**)).

١٠. أن المجتمع كله كان يتحرق للعفو عن كعب ورفاقه، ولما حدث ذلك صرخ صارخ، أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، وجاء الناس فوجًا فوجًا بالبشرى والتهنئة.

١١. أن كعب قد انطلق إلى رسول الله ﷺ، حتى دخل المسجد، فإذا هو جالس حوله الناس، فقام إليه طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحه وهنأه، وقال ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: ((**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**))، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: ((**لا، بل من عند الله**)).

٢. ترسيخ الأمن المجتمعي:

من الآثار المجتمعية للتبين والتثبت في تداول المعلومات ترسيخ الأمن المجتمعي، من خلال كشف مخططات الأعداء ومواجهتها، والتحقق ممن لهم شبهة عمالة، وحفظ الأنفس والأعراض، وبيان ذلك على النحو الآتي:

أ. كشف مخططات الأعداء ومواجهتها:

فمن مخططات الأعداء إثارة ونشر الشائعات والمعلومات المضللة لضرب أمن المجتمع، وهذا ديدن قديم حدث حتى في أيام الرسول ﷺ وتجلى في مخطط مسجد الضرار الذي كشف الله تعالى كل المعلومات المتعلقة به، وحدد الإجراءات المناسبة لمواجهته في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة:١٠٧ ـ ١١٠].

ولا شك أن الأعداء يبذلون الجهد الكبير، ويشترون بالمال الكثير الصحف والمواقع الإلكترونية والقنوات المضللة وبعض الكتاب والإعلاميين لتمرير بعض المخططات التي تستهدف تقويض المجتمع من خلال الكلمة المكتوبة أو المسموعة أو المرئية، لكن الله تعالى يحفظ المجتمعات المسلمة التي تعتصم بحبله وتستمسك بوحيه، هذا الوحي الذي أمر بالتبين والتثبت من كل مقروء ومسموع ومشاهد.

وبالتبين والتثبت يصبح الكلام الخبيث الذي يروجه هؤلاء كالهباء المنثور، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾ [سورة إبراهيم:٢٦].

فالكلمة الخبيثة «ليس لها ثبوت نافع في القلب، ولا تثمر إلا كل قول خبيث وعمل خبيث يستضر به صاحبه، ولا ينتفع، فلا يصعد إلى الله منه عمل صالح ولا ينفع نفسه، ولا ينتفع به غيره»[(١)].

وكون الكلمة الخبيثة تشبه الشجرة الخبيثة «هو شبه حقيقي في طبيعة الكلمة وطبيعة الشجرة؛ وما فيهما من حياة ونماء، والكلمة تنمو وتمتد وتثمر كما تنمو الشجرة وتمتد وتثمر سواء بسواء»[(٢)].

ب. التحقق ممن لهم شبهة عمالة:

ومن آثار التبين والتثبت كشف العملاء الذين يستهدفون أمن المجتمع وسلامة المواطنين، وهؤلاء دائماً يظهرون خلاف ما يبطنون.

وقد بين الله تعالى أن هذه النوعية من الناس كانت موجودة حتى في زمن النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [سورة التوبة:١٠١]. والمعنى «ومن القوم الذين حول مدينتكم من الأعراب منافقون، ومن أهل مدينتكم أيضًا أمثالهم أقوامٌ منافقون»[(٣)].

وقد يكون من الحكمة أحيانا أن تحتفظ الأجهزة المعنية بمعلوماتها عن هؤلاء ولا تنشرها للناس، وهذا ما أفهمه من جملة ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ «ففيها دليل على أنه لم يغر بهم ولم يدرك على أعيانهم وإنما كانت تذكر له صفاتهم فيتوسمها في بعضهم

---

(١) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٤٢٥.

(٢) الشاربي: **في ظلال القرآن**، ج٥، ٢٩٣٠.

(٣) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٤، ص٤٤٠.

كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [سورة محمد: ٣٠]»[(١)].

إن هذا النهج الرباني في عدم كشف هؤلاء بأعيانهم مفيد جدًا من نواح متعددة:

أولها: أن نمنح الفرصة لهم لعلهم يراجعون أنفسهم، ويتخذون الموقف السليم الذي يدفع عار العمالة عنهم.

وثانيها: أن نمد الحبل لمن لا يرجى فيه الخير منهم حتى يلفوه بأيديهم حول أعناقهم، وتكون عاقبتهم مبنية على دلائل لا يمكنهم الطعن فيها.

وثالثها: أن تجتهد الأجهزة المعنية بالبحث والتحري والمتابعة في عملها وفي استفراغ وسعها للوقوف على دلائل وبراهين عديدة على عمالة هؤلاء، ولعل ذلك هو السبب في قول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [سورة محمد: ٣٠]. أي «فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم، يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه، وهو المراد من لحن القول، كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه: ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه»[(٢)].

إن التأكيد في جملة ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ يفيد أنه «لابد أن يظهر ما في قلوبهم، ويتبين بفلتات ألسنتهم، فإن الألسن مغارف القلوب، يظهر منها ما في القلوب من الخير والشر»[(٣)].

---

(١) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج٥، ص١٧٢.

(٢) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج٧، ص٣٢١.

(٣) السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٤٢٥.

وإذا كانت النصوص القرآنية السابقة ـ من باب التحذير ـ قد أكدت وجود هؤلاء الذين مردوا على النفاق والعمالة في عاصمة الدولة الإسلامية مدينة الرسول ﷺ وحولها، فكيف بغيرها من العواصم؟

لا شك أن هذا يدعو إلى الحذر البالغ، ولهذا كانت القيادة الناجحة «هي التي يمتد سمعها وبصرها لكل مواطن من المواطنين بين صفوف الجيش، لتتصيد عناصر التثبيط والنفاق والخذلان، حتى لا يكون ذلك سبباً في تثبيط الهمم وتفتيت عضد الجنود، وتبعث في نفوسهم روح الفتور، فتكون من عوامل الهزيمة»[1].

أسأل الله تعالى أن يحفظ دولتنا ودول المسلمين من كل سوء، وأن يسخر لولاة أمورنا البطانة الصالحة التي تدلهم على كل خير، وأن يأخذ بأيديهم وأيدينا معهم إلى السعادة في العاجل والآجل.

٣. **حفظ الأنفس والأعراض:**

إن الأمن المجتمعي لا يمكن أن يتحقق دون حفظ الأنفس والأعراض، ولهذا قال الرسول ﷺ: ((**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا**))[2]، ولا شك أن التبين والتثبت لهما أثر كبير في هذا الحفظ.

وقول الله تعالى ﴿**مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا**﴾ [سورة المائدة:٣٢] يفيد وجوب التبين والتثبت قبل إهدار النفوس المعصومة، إذ إهدارها لا يتأتى إلا بقتلها لنفس معصومة أو بإفسادها في الأرض.

---

(١) فرحات: **تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور**، ص١٤٥.

(٢) **صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم: (١٢١٨)، ص٥٠٨.

ففي الآية تشديد على حرمة قتل النفس بغير حكم شرعي مبني على تبين وتثبت، وقد قال الرسول ﷺ: ((**لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة**))[(١)].

من هنا توعد الله تعالى قاتل المؤمن عمدًا فقال: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [سورة النساء:٩٣][(٢)].

كما أن حفظ الأعراض من الأمور التي حظيت باهتمام عظيم في آيات القرآن الكريم، فقد قال تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [سورة النور:٣٠]، وهذا توجيه وأمر رباني للمؤمنين «أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على مُحرَّم من غير قصد، فليصرف بصره عنه سريعًا»[(٣)]، فعن جرير بن عبد الله ﷺ أنه قال: ((**سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري**))[(٤)].

وقد شرع القرآن الكريم حد القذف عقوبة لمن يتجرأ على أعراض الناس دون أن يأتي بالبينة المتمثلة في أربعة شهداء، قال الله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ**﴾ [سورة النور:٤].

---

(١) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الديات، باب آية (٤٥) من سورة المائدة، حديث رقم: (٦٨٧٨) ص١٢٦٩.

(٢) **نخبة من أساتذة التفسير**: التفسير الميسر، ص٩٣.

(٣) ابن كثير: **تفسير القرآن الكريم**، ج٦، ص٤١.

(٤) **صحيح مسلم**، كتاب الآداب، باب نظر الفجأة، حديث رقم: (٢١٥٩)، ص٩٥٨.

ونحن نعلم أن المجيء بأربعة شهداء على جريمة الزنا أمر في غاية الصعوبة، خصوصا في ظل الملابسات التي يجب أن يحيط بها كل شاهد.

فقَدْ رُوِيَ أَنَّ نَافِعَ بْنَ الْحَارِثِ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بن الخطاب ﷺ أَنَّ أَرْبَعَةً جَاءُوا يَشْهَدُونَ عَلَى رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ بِالزِّنَا، فَشَهِدَ ثَلَاثَةٌ أَنَّهُمْ رَأَوْا كَالْمِيلِ فِي الْمُكْحُلَةِ وَلَمْ يَشْهَدْ الرَّابِعُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: إنْ شَهِدَ الرَّابِعُ عَلَى مِثْلِ مَا شَهِدَ عَلَيْهِ الثَّلَاثَةُ؛ فَاجْلِدْهُمَا، وَإِنْ كَانَا مُحْصَنَيْنِ فَارْجُمْهُمَا، وَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ إلَّا بِمَا كَتَبْت بِهِ إلَيَّ؛ فَاجْلِدْ الثَّلَاثَةَ، وَخَلِّ سَبِيلَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ[1].

كل هذا التشديد في مسألة التبين والتثبت هدفها التأكيد على حفظ الأعراض الذي يعد ركيزة أساسية من ركائز الأمن المجتمعي.

وفي نهاية هذا الفصل يتضح لنا أن أهم ما يرتكز عليه التبيُّن والتثبت يتمثل فيما يأتي:

- تجنب اقتفاء ما لا علم به، والتخمين وسوء الظن.
- ترك الخوض في الباطل وفضول الكلام.
- اعتماد المؤسسية في التبين والتثبت.

والاعتماد المؤسسي في التبين والتثبت يستلزم ما يأتي:

- أن يكون المتبين والمتثبت من منتسبي المؤسسات والأجهزة المصرحة من قبل ولي أمر البلاد أو من المخولين لهذا الأمر.
- عدم الشروع في التبين والتثبت الأمني إلا بأوامر وتخويل من المسؤولين.
- عدم تجاوز المعايير الإنسانية، والنظر إلى الجانب الفطري للإنسان وأن الخطأ طبيعة فيه، وأن خير الخطائين التوابون.
- السرية وعدم نشر هذه المعلومات وتداولها، وألا تتعدى توثيقها الأمني، ولا يطلع عليها من المسؤولين إلا من كان مكلفاً أو له صلاحية تتيح له ذلك.

---

(١) الجصاص، **أحكام القرآن**، ج٣، ص٣٦٧.

- ذكر نتيجة التتبع بصدق وأمانه دون زيادة أو نقصان، فلا يذكر ما يتوهم إلا من باب التحليل أو من باب إبداء وجهة النظر المنضبطة بالتقوى والعدل، مع تحديد نسبة التثبت وهل هي في الدرجة القصوى أم أقل من ذلك.
- بعض الأمور ينبغي أن تخضع لمراحل إضافية من التثبت، حتى ولو أعلن المسؤول عن المتابعة أنه قد بلغ درجة اليقين في تثبته.
- عدم التصرف في أي وثائق، أو أموال، أو أي أمر حصل عليه جراء البحث والتحري عن المعلومة المتداولة إلا بإيعاز أصحاب القرار؛ لأنه ملك للدولة

ثم إن التبين والتثبت من المعلومات التي يتم تداولها تكون له آثار فردية تتمثل فيما يأتي:

- تحقيق الطمأنينة والراحة النفسية.
- القناعة والوصول إلى وجه الصواب في الأمر.
- تجنب الوقوع في الإثم.
- تقديم النصح والإعراض عن الجاهلين.

وللتبين والتثبت آثار إيجابية كثيرة على المجتمع، ومنها ما يأتي:

- حفظ روح الإخاء والمحبة.
- ترسيخ الأمن المجتمعي، من خلال كشف مخططات الأعداء ومواجهتها، والتحقق ممن لهم شبهة عمالة، وحفظ الأنفس والأعراض.

الخاتمة

أولا: النتائج:

١. هناك فرق بين التبين والتثبت يتجلى في ثلاثة أمور: أولها: أن التبين مرحلة متقدمة على التثبت، فالتبين هو ظهور الحقيقة، والتثبت هو الإحاطة بأدلتها وملابساتها، وثانيها: أن الأمر يستقر بالتثبت حتى يصل إلى درجة اليقين، وثالثها: أن اتخاذ الإجراءات العملية وإصدار الأحكام لا يكون إلا بعد التثبت.

٢. التجسس والتحسس يشتركان في قيامهما على البحث والتفتيش سرا، وفي اعتمادهما على الحواس، وفي أن حكمهما من حيث الحل والحرمة يتبع المقصد منهما، وفي أن الإنسان يمكن أن يقوم بهما لنفسه أو لغيره، والتجسس غالباً يكون ضد الخصوم والأعداء بدافع درء شرورهم أو إلحاق الضرر بهم، أما التحسس فيكون غالباً مع الأولياء، بدافع جلب الخير لهم، أو درء الشر عنهم.

٣. التجسس والتحسس وسيلتان للتبين والتثبت، وضوابطهما تتمثل في الصدق والأمانة، والموهبة، والصبر، والانضباط وكتم الأسرار، أما أهدافهما فتتمثل في تمييز العملاء من غيرهم، ومكافحة المعلومات المضللة، والحصول على المعلومات وتحليلها.

٤. يجب عند تداول المعلومات أن يتم التعامل معها بطريقة مؤسسية ترتكز على التروي في التبين والتثبت، والتحليل الدقيق للمعلومات، ثم تقديم التوصيات لمتخذي القرار لعمل ما يرونه مناسباً.

٥. أهم ما يرتكز عليه التبيُّن والتثبت يتمثل في تجنب اقتفاء ما لا علم به، وترك التخمين وسوء الظن، وترك الخوض في الباطل وفضول الكلام، واعتماد المؤسسية في التبين والتثبت. ثم إن اعتماد المؤسسية يستلزم أن يكون المتبين والمتثبت من منتسبي المؤسسات والأجهزة المصرحة من قبل ولي أمر البلاد، وعدم الشروع في التبين والتثبت الأمني إلا بأوامر وتخويل من المسؤولين، وعدم تجاوز المعايير الإنسانية التي أقرها الإسلام، والسرية وعدم نشر المعلومات، وألا تتعدى توثيقها الأمني، وذكر نتيجة التتبع بصدق وأمانة دون زيادة أو نقصان، مع تحديد نسبة التثبت وهل هي في الدرجة القصوى أم أقل من ذلك.

٦. التبين والتثبت من المعلومات التي يتم تداولها لهما آثار فردية تتمثل في تحقيق الطمأنينة والراحة النفسية، والقناعة والوصول إلى وجه الصواب في الأمر، وتجنب الوقوع في الإثم، وتقديم النصح والإعراض عن الجاهلين. ولهما آثار إيجابية كثيرة على المجتمع، منها حفظ روح الإخاء والمحبة، وترسيخ الأمن المجتمعي من خلال كشف مخططات الأعداء ومواجهتها، والتحقق ممن لهم شبهة عمالة، وحفظ الأنفس والأعراض.

٧. من المهم جداً أن يكون داخل مؤسسات الدولة وخاصة الأمنية مختصون في الدراسات القرآنية والشرعية، وأن يتم ابتعاثهم كما يتم ابتعاث طلاب الدراسات القانونية والشؤون الدولية وغيرها، وذلك لأسباب كثيرة منها: أولها: تكييف عمليات البحث والتحري للتبين والتثبت تكييفاً شرعياً، وثانيها: ربط الأمنيين بالشريعة الإسلامية لما فيه من الخير للحاكم والمحكوم، إذ لا يتصور ممن يربط نفسه بالدين الحق خيانة أو تقصيرا، وثالثها: تحقيق التكامل والتعاون بين التخصصات العلمية المختلفة.

ثانيا: التوصيات:

- التوسع في الدراسات القرآنية التي تعالج القضايا الحديثة والمعاصرة لردف المكتبات بالدراسات التفسيرية.
- فتح برامج إضافية في مرحلة الماجستير والدكتوراه في مختلف التخصصات الشرعية التي تخدم المؤسسات الحكومية والاهتمام بها في ضوء التواصل مع تلك المؤسسات كل بحسب مجال عمله.
- تأهيل العاملين في المؤسسات الأمنية شرعياً ليجمعوا بين التثبت الشرعي، والتثبت الواقعي.

ختاماً:

هذا ما تيسر للباحث إعداده، فإن كان صواباً فمن الله تعالى وتوفيقه، وإن كان خطأً فمن نفسه وأستغفر الله وأتوب إليه، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهرس الآيات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٢-سورة البقرة		
١	﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ ...﴾	١٤	٧٥
٢	﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ...﴾	٣١-٣٢	٦
٣	﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾	٣١	٩٥
٤	﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾	٦٧	٩
٥	﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ ...﴾	٧٨	١٠
٦	﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾	١٠٢	١٣
٧	﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ﴾	١٠٨	٧
٨	﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۗ﴾	١١٣	٩٥
٩	﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يُوقِنُونَ﴾	١١٨	٤٢، ٤٨
١٠	﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ...﴾	١٥٥	٨٨
١١	﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾	١٦٠	٤١
١٢	﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ...﴾	١٦٦	٥٩
١٣	﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ ...﴾	١٨٧	٢٦
١٤	﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ﴾	١٨٩	٧٤، ١٠٨
١٥	﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾	١٩٠	١١٤
١٦	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ ...﴾	٢٠٦	١٢١
١٧	﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖۗ﴾	٢١١	٤١
١٨	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢٢٢	١١٣
١٩	﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾	٢٢٣	٢٢

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠	﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ﴾	٢٢٩	١٧
٢١	﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ...﴾	٢٤٢	٤١
٢٢	﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ...﴾	٢٥٠	٤١
٢٣	﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ ...﴾	٢٥٩	٤١
٢٤	﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ ...﴾	٢٦٩	٨٨
٢٥	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ ...﴾	٢٨٢	٢٧
	٣–سورة آل عمران		
٢٦	﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾	٧	١١
٢٧	﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ...﴾	١٠٣	١٥
٢٨	﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ...﴾	١٠٥	٤١
٢٩	﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾	١١٨	٤١
٣٠	﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾	١٣٨	٢٦، ٤١
٣١	﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾	١٤٠	٣
٣٢	﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ﴾	١٥٩	١٨
٣٣	﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	١٦٤	٤١
	٤–سورة النساء		
٣٤	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا ...﴾	٥٨	١٨، ١١٢
٣٥	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ...﴾	٥٩	٨٩
٣٦	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾	٧١	١٠٢
٣٧	﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ ...﴾	٨٣	١٠٩، ١١٨
٣٨	﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ...﴾	٩٣	١٣٣
٣٩	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ...﴾	٩٤	ط، ٣٢، ٤٠، ٤٢، ٢٥، ٣١

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٠	﴿وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾	١٠٢	٧٩
٤١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ ...﴾	١٣٥	١٨
٤٢	﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ ...﴾	١٤٥	٧٥
	٥-سورة المائدة		
٤٣	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ ...﴾	٨	٧٩، ٨٧
٤٤	﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ...﴾	٣٢	١٣٢
٤٥	﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾	٤١	ط، ٧
٤٦	﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ ...﴾	١١٩	٨٧
	٦-سورة الأنعام		
٤٧	﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾	٥٧	٤٧
٤٨	﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾	٩٠	١٤
٤٩	﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾	١٠٤	٢٦
٥٠	﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	١٤٣	٢٧
	٧-سورة الأعراف		
٥١	﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٢٨	٥٥
٥٢	﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ...﴾	١٤٣	٢٧
٥٣	﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾	١٩٩	١٢١
	٨-سورة الأنفال		
٥٤	﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾	١١	٤١
٥٥	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ ...﴾	٢٧	٧٤
٥٦	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ﴾	٣٠	٤١
٥٧	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ ...﴾	٤٥	٤١
٥٨	﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ...﴾	٦٠	٧٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٩–سورة التوبة		
٥٩	﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ...﴾	٤٣	٣٦
٦٠	﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ...﴾	٤٧	ط، ٦٤، ٩٤
٦١	﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ...﴾	٤٨	٦٣
٦٢	﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ...﴾	١٠١	١٣٠
٦٣	﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾	١١٨	١٠٢
٦٤	﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ...﴾	١٢٢	١٤
	١١–سورة هود		
٦٥	﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾	١٧	٢٧
	١٢–سورة يوسف		
٦٦	﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ...﴾	٢٦–٢٨	٣٣
٦٧	﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا ...﴾	٣٠	٢٣
٦٨	﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ ...﴾	٣١–٣٢	٢٣
٦٩	﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ﴾	٣٧	٩
٧٠	﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي ...﴾	٤٧–٤٩	١٢
٧١	﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ ...﴾	٦٧	٨٠
٧٢	﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾	٧٦	١٠
٧٣	﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾	٨٧	٨٠
	١٣–سورة الرعد		
٧٤	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ﴾	١٦	١٩
	١٤–سورة إبراهيم		
٧٥	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ...﴾	٤	٢٥
٧٦	﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾	٢٤	٤٢

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٧	﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن ...﴾	٢٦	١٢٩
	١٦-سورة النحل		
٧٨	﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٤٣	١٠٤
٧٩	﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ ...﴾	٩٤	٤٢
	١٧-سورة الإسراء		
٨٠	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ ...﴾	٣٦	٦٤، ١٢٠
٨١	﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾	٧٤	٤٢
	١٨-سورة الكهف		
٨٢	﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ ...﴾	١٨	٣٥
٨٣	﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَـٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ ...﴾	١٩	٣٤، ٣٥
٨٤	﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَـٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾	٢٥	٣٥
٨٥	﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾	٤٢	٦٣
٨٦	﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ ...﴾	٦٥	٩٥
٨٧	﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾	٦٨	١٨
٨٨	﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾	٧٨	١٩
٨٩	﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ ...﴾	١٠٤	٢١
	١٩-سورة مريم		
٩٠	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ ...﴾	٩٦	٦٧
	٢٠-سورة طه		
٩١	﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾	١١٤	٩
	٢٤-سورة النور		
٩٢	﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ ...﴾	٤	٧٦
٩٣	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ﴾	١١	١٠٦

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٤	﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾	١٢	١٠٢، ١٠٦، ١٠٠، ١٠٦
٩٥	﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ ...﴾	١٥	ط
٩٦	﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ ...﴾	١٥-١٦	١٠٥
٩٧	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾	١٩	٥٣، ١١٦
٩٨	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ ...﴾	٢٣	٧٧
٩٩	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ...﴾	٢٧	٧٢، ٧٤
١٠٠	﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ...﴾	٣٠	١٣٣
	٢٥-سورة الفرقان		
١٠١	﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾	٣٢	٤٢
	٢٧-سورة النمل		
١٠٢	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ...﴾	١٥	١٠
١٠٣	﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾	٢٢	٧، ٤٦
١٠٤	﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ...﴾	٢٢-٢٤	١١٣
١٠٥	﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾	٢٧	١١٤
	٢٨-سورة القصص		
١٠٦	﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾	٣١	١٨
١٠٧	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ ...﴾	٤٣	٢٧
	٢٩-سورة العنكبوت		
١٠٨	﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	٦٠	٩
	٣٣-سورة الأحزاب		
١٠٩	﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ...﴾	٥٨	٥٣، ٧٣
١١٠	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾	٧٠	٥٦

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٣٤-سورة سبأ		
١١١	﴿عَٰلِمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾	٤٨	٥
	٣٦-سورة يس		
١١٢	﴿وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	٨١	٥
	٣٧-سورة الصافات		
١١٣	﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ﴾	١٠	٦٣
	٣٩-سورة الزمر		
١١٤	﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾	٩	١٠، ١٩
١١٥	﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ ...﴾	٣٣	٨
	٤١-سورة فصلت		
١١٦	﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم ...﴾	٢٣	١٠١
	٤٧-سورة محمد		
١١٧	﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي ...﴾	٣٠	١٣١
	٤٩-سورة الحجرات		
١١٨	﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾	٦	٢٥، ٣١، ٥٧، ٤٢، ٥١، ١٠٥، ي، ١١٦
١١٩	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾	١٢	١٠٠، ٥٥، ٧١، ٦٤، ٧٤
	٥٠-سورة ق		
١٢٠	﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا ...﴾	٣٦	٦٢
	٥١-سورة الذاريات		
١٢١	﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ﴾	١٠-١١	٩٩
	٥٣-سورة النجم		
١٢٢	﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ﴾	٢٣	١٠١
	٥٧-سورة الحديد		
١٢٣	﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾	٤	٩

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٥٩-سورة الحشر		
١٢٤	﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾	٧	٣
١٢٥	﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ...﴾	١٠	٥٤
	٦٠-سورة الممتحنة		
١٢٦	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ...﴾	١	٣٦، ٩٢
	٦٢-سورة الجمعة		
١٢٧	﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾	٨	٥
	٦٥-سورة الطلاق		
١٢٨	﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ ...﴾	١	٢٤
١٢٩	﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾	١٢	٩
	٨٢-سورة الانفطار		
١٣٠	﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾	١١	٧
	٩٦-سورة العلق		
١٣١	﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾	١-٤	٩
١٣٢	﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	٥	١٠

فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الصفحة
١	((أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك))	١٢٦، ١٢٨
٢	((أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال ذكرك أخاك بما يكره، ..))	٥٦
٣	((اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدثنَّ شيئاً حتى تأتينا))	٨٢
٤	((أرسله، اقرأ يا هشام))	١١٠
٥	((اسْتَعِينُوا عَلَى كُلِّ صَنْعَةٍ بِصَالِحِ أَهْلِهَا، قد يستأنس له بقوله (ما كان من ..))	٨٣
٦	((اقرأ يا عمر))	١١٠
٧	((أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك))	١٢٥، ١٢٨
٨	((أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك))	١٢٧
٩	((إِنَّ العبد ليتكلّم بالكلمة –مِنْ رضوان الله– لا يُلْقِي لها بالاً، يرفعه الله بها..))	٥٥
١٠	((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في ..))	١٣٢
١١	((إن لكل نبي حواري وإن حواري الزبير))	٨١
١٢	((إن من البيان لسحرا))	١٢٢
١٣	((انصر اخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً..))	١٢٣
١٤	((انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي..))	٣٧، ٥٠، ٩٢
١٥	((انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فكتبه، فإني خفت دروس العلم ..))	١٥
١٦	((إنما جعل الاستئذان من أجل البصر))	٧٢
١٧	((إنه صَدَقكم))	٩٣
١٨	((إنه قد شهد بدرًا، ما يدريك لَعَلّ الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما ..))	٩٣
١٩	((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا..))	٧٣
٢٠	((بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عيناً وأمَّر عليهم عاصم بن ..))	٨١
٢١	((بعث رسولاً إلى الأبناء وأمرهم أن يخاذلوا الأسود إما غيلة وإما مصادمة))	٨٣
٢٢	((بعثني النبي صلّى اللَّه عليه وآله وسلم عام الفتح بين يديه لأسهل له الطريق..))	٨٦
٢٣	((التبين من الله والعجلة من الشيطان، فتبينوا))	٤٣
٢٤	((ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى ..))	١٢٣

م	طرف الحديث	الصفحة
٢٥	((الحرب خدعة))	٥٧
٢٦	((خمس تجب للمسلم على أخيه رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة..))	١٥
٢٧	((دعه؛ فإنَّ له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم..))	٢٠
٢٨	((سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري))	١٣٣
٢٩	((فلعله شبه عليك؟))	١١١
٣٠	((قتلوه؛ قاتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاءُ العِيِّ السؤال! إنما ..))	١٠٤
٣١	((كذلك أنزلت))	١١٠
٣٢	((كذلك أنزلت. إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه))	١١٠
٣٣	((كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع))	١٢٠
٣٤	((كما يغيب الميل في المكحلة والرشا في البئر؟))	٣٩
٣٥	((لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه))	١١١
٣٦	((لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ..))	١٣٣
٣٧	((لا، بل من عند الله))	١٢٦، ١٢٨
٣٨	((لا، ولكن بر أباك، وأحسن صحبته))	١١٢
٣٩	((لا، ولكن لا يقربك))	١٢٨
٤٠	((لا، ولكن لا يقربك))	١٢٦
٤١	((لعلك قبلت، أو غمزت، أو نظرت. قال لا يا رسول الله، قال أنكتها))	٣٩
٤٢	((لعله أخطأ سمعك!))	١١١
٤٣	((ليس بالكذاب من يَنمّ خيرًا))	٥٧
٤٤	((ما بال العامل نبعثه فيأتي يقول هذا لك وهذا لي، فهلا جلسَ في بيت ..))	١١٤
٤٥	((ما خلفك، ألم تكن قد ابتعت ظهرك))	١٢٥، ١٢٧
٤٦	((ما فعل كعب؟))	١٢٤، ١٢٧
٤٧	((ما كان من أمر دنياكم فإليكم))	٨٣
٤٨	((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله ..))	١٢٣
٤٩	((من يأتينا بخبر القوم؟))	٨١
٥٠	((وفي كل إصبع مما هنالك عشر من الإبل))	٤٨

م	طرف الحديث	الصفحة
٥١	((وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم..))	٣٨، ٥٠
٥٢	((يا حاطب، ما هذا؟))	٩٣
٥٣	((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظلموا))	١٢٣
٥٤	((يا غلام، لعلك غضبت عليه؟))	١١٠

قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، بيروت، المكتبة العلمية، د.ط، ١٤١٧هـ/١٩٧٩م.

٣. أثير الدين، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان: **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤. أحمد، محمد محمد أحمد حسين: **التثبت في القرآن الكريم**، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، أطروحة ماجستير في أصول الدين.

٥. أيوب، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه: **المختصر في أخبار البشر**، القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، ط١، د.ت.

٦. الإمام، إبراهيم: **الإعلام الإسلامي**، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٧. الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله: **الشريعة**، تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الرياض، دار الوطن، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٨. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٩. الألباني، أبو عبدالرحمن ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، الرياض، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٠. الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبدالباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١١. البخاري، محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري**، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٢. البروسوي: إسماعيل حقي بن مصطفى: **روح البيان**، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت.

١٣. البستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ: **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبدالرزاق حمزة ومحمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.

١٤. البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب: **المتفق والمفترق**، تحقيق: محمد صادق آيدن الحامدي، دمشق، دار القادري، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٥. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: **معالم التنزيل، تحقيق وتخريج الأحاديث**: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، المدينة النبوية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٦. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت.

١٧. البهوتى، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس: **كشاف القناع عن متن الإقناع**، بيروت، عالم الكتب، د.ط، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٨. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني: **دلائل النبوة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٩. البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢٠. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، د.ت.

٢١. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام: **منهاج السنة**، الرياض، دار الفضيلة، د.ط، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٢. الثعالبي، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف: **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبدالموجود، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢٣. الجرجاني، على بن محمد الشريف: **كتاب التعريفات**، تحقيق وزيادة: محمد عبدالرحمن المرعشلي، بيروت، دار النفائس، ط٣، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٢٤. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي: **أحكام القرآن**، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢٥. الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٦. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: **الصحاح**، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٧. الحدادي، محمد عبد الرؤوف بن زين العابدين: **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م.

٢٨. الحسني، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة: **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

٢٩. الحسيني، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق: **تاج العروس من جواهر القاموس**، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٣٠. حمودي، إمام الشافعي محمد: **المخابرات في التاريخ الإسلامي الباكر**، مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٣١. الخازن، أبو الحسن علاء الدين محمد الشيحي: **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح: محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/٢٠١٠م.

٣٢. الخرائطي، محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر: **مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها**، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٣٣. الخميس: عثمان بن محمد: **حقبة من التاريخ**، الكويت، مكتبة الإمام الذهبي، ط٥، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٣٤. ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن: **الاشتقاق**، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣، د.ت.

٣٥. الدغيمي، محمد راكان: **التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية**، القاهرة، دار السلام، ط٤، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٣٦. الدومي، عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى بن بدران: **مقدمة في مصطلح الحديث**، اعتنى بها: نورالدين طالب، الرياض، دار أطلس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٣٧. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز: **تذكرة الحفاظ**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٣٨. الرازي، احمد بن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٣٩. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي: **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤٠. الرازي، محمد بن أبي بكر: **مختار الصحاح**، بيروت، مكتبة لبنان، د.ط، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٤١. رضا، محمد رشيد بن علي: **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٤٢. الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، بيروت، دار المعرفة، ط٧، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٤٣. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٤٤. ابن زنجلة، أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد: **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٤٥. زيدان، عبدالكريم: **المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٤٦. الزيودي، ريما محمود: **نقل الأخبار وتداولها في المجتمع الإسلامي أيام الدولة الأموية**، الأردن، دار يافا، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٤٧. السجستاني، سليمان بن الاشعث: **سنن أبي داود**، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الكويت، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٤٨. السجستاني، سليمان بن الاشعث: **سنن أبي داود**، بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، د.ت.

٤٩. السخاوي، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد: **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، تحقيق: محمد عثمان الخشت، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٥٠. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ب تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٥١. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: **قصص الأنبياء**، تحقيق: أشرف عبدالمقصود، الرياض، مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٥٢. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم: **بحر العلوم (تفسير السمرقندي)**، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، زكريا عبدالمجيد النوتي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٥٣. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر: **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٥٤. الشاربي، سيد قطب إبراهيم حسين: **في ظلال القرآن**، بيروت، دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٥٥. الشنقيطي، حمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٥٦. الشرباصي، أبو حازم احمد: **موسوعة أخلاق القرآن**، بيروت، دار الرائد العربي، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥٧. الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب: **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، القاهرة، مطبعة بولاق الأميرية، د.ط، ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م.

٥٨. أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم: **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**، دمشق، دار القلم، ط٨، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٥٩. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله: **فتح القدير**، دمشق، دار ابن كثير، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٦٠. الشيباني، عبد الرحمن بن علي بن محمد: **تميز الطيب من الخبيث**، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٦١. الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري: **تفسير القرآن**، تحقيق: محمود محمد عبده، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٦٢. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي: **تاريخ الطبري**، بيروت، دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٦٣. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي: **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد ومحمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٦٤. طنطاوي، محمد سيد: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، القاهرة، دار نهضة مصر، ط١، د.ت.

٦٥. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر: **التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)**، تونس، الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٦٦. عباس، فضل حسن عباس: **قصص القرآن الكريم**، الأردن، دار النفائس، ط٣، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٦٧. عبدالمطلب، رفعت فوزي: **توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته**، مصر، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٦٨. العثيمين، محمد بن صالح: **شرح رياض الصالحين**، الرياض، دار الوطن للنشر، د.ط، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٦٩. العثيمين، محمد بن صالح: **فتح ذي الجلال والاكرام بشرح بلوغ المرام**، تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، وأم إسراء بنت عرفه بيومي، القاهرة، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

٧٠. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله: **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٧١. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله: **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٧٢. ابن عطية الأندلسي، أبي محمد عبدالحق بن غالب: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٧٣. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٧٤. آل عيسى، عبدالسلام بن محسن: **بحوث محكمة في السيرة النبوية**، السعودية، مركز البصائر للبحث العلمي، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م.

٧٥. العليمي، احمد محمد: **التثبت والتبين في المنهج الإسلامي**، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٧٦. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: **إحياء علوم الدين**، بيروت، دار المعرفة، د.ط، د.س.

٧٧. الغضبان، منير محمد: **المنهج الحركي للسيرة النبوية**، الأردن، مكتبة المنار، ط٦، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٧٨. فرحات، كرم حلمي: **تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور**، مصر، مكتبة الإمام البخاري، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

٧٩. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٨٠. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق: **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الرياض، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٨١. بن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم: **تأويل مختلف الحديث**: بيروت، المكتب الإسلامي، الدوحة، مؤسسة الإشراق، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٨٢. القطان، إبراهيم: **تيسير التفسير**، مراجعة وضبط: عمران أحمد أبو جمله، عمّان، طبعه خاصة لها نسخ في عدة جامعات منها جامعة آل البيت في الأردن، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٨٣. القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب: **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق: محي الدين رمضان، دمشق، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٨٤. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: **زاد المعاد في هدي خير العباد**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٨٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **تفسير القرآن الكريم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الرياض، دار طيبة، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٨٦. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الرياض، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٨٧. الكفوي، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي: **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٨٨. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: **الأحكام السلطانية**، القاهرة، دار الحديث، د.ط، د.ت.

٨٩. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: **النكت والعيون (تفسير الماوردي)**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.

٩٠. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: **أدب الدنيا والدين**، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ط، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٩١. المباركفوري، صفي الرحمن: **الرحيق المختوم**، بيروت، دار ابن حزم، ط٢ (خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر)، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٩٢. مجموعة من مشايخ الأزهر: **حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المسلمين**، إشراف وتقديم (وزير الأوقاف المصرية): محمود حمدي زقزوق، القاهرة، وزارة الأوقاف (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية)، د.ط، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٩٣. المرزباني، محمد بن عمران: **معجم الشعراء**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٩٤. المري، جمال محمد خليفة: **الأمن القومي**، دبي، أكاديمية شرطة دبي، ط١، ١٤٠٢هـ/٢٠٠٥م.

٩٥. مسعود، جبران: **الرائد**، بيروت، دار العلم للملايين، ط٧، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٩٦. المعافري، ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري: **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

٩٧. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر: **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٩٨. ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ط٦، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

٩٩. المهدي، حسين بن محمد: **صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال**، مراجعة: عبد الحميد محمد المهدي، اليمن، وزارة الثقافة، د.ط، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٠٠. نخبة من أساتذة التفسير: **التفسير الميسر**، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٠١. النمري، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر: **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، السعودية، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٠٢. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف: **الأذكار**، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٠٣. النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم: **صحيح مسلم**، بيروت، دار بن حزم، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٠٤. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين: **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٠٥. الهاجري: راشد بن رمزان آل طامي: **جريمة التحريض الالكترونية المخلة بأمن الدولة**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

١٠٦. الهيتمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر: **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٠٧. الهيثمي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة المقدسي، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٠٨. وردات، قسيم محمد عليان: **منهج القرآن في التثبت**، إربد، جامعة اليرموك، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

١٠٩. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية: **الموسوعة الفقهية الكويتية**، الكويت، مكتبة ذات السلاسل، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١١٠. بن يعيش، موفق الدين أبي البقاء: **شرح المفصل للزمخشري**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١١١. libry.nauss.edu.sa.